يا عمال العالم اتحدوا!

الاتحاد

الخميس ٣٠ آذار ١٩٩٥ الصفحة ١٦

استنكار عارم لمحاولة اعتداء عميل الاحتلال على مدير مكتب «الاتحاد» في شفاعمرو

□ الجبهة تدعو وزير الشرطة الى وضع حد لظاهرة توطين العملاء □ بلدية شفاعمرو تطالب الشرطة بعدم اطلاق سراح العميل المعتقل □ رئيس البلدية، ابراهيم نمر حسين، لا يعتبر القضية سياسية «وما كانت هناك حاجة لجلسة البلدية» □ النائب محاميد يطالب بالتحقيق في الموضوع □

● شفاعمرو – من مكتب «الاتحاد» – بناء على طلب كتلة الجبهة عقد مجلس بلدية شفاعمرو، مساء امس الاربعاء، جلسة طارئة، لبحث محاولة الاعتداء التي تعرض لها عضو بلدية شفاعمرو الجبهوي مدير مكتب «الاتحاد» في المدينة الزميل احمد حمدي من طرف احد العملاء المستوطنين في المدينة.

وقد ندد غالبية اعضاء البلدية بمحاولة الاعتداء، وطالبوا باتخاذ اجراءات عديدة لمواجهة ظاهرة العملاء. غير ان المفاجأة كانت بموقف رئيس البلدية، ابراهيم نمر حسين، الذي اعتبر الموضوع قضية شخصية، واعتبر النشر في جريدة «الاتحاد» حول موضوع العملاء في شفاعمرو «اضعف عضو البلدية احمد حمدي وجعله عرضة للاعتداء والاستفزاز». واعتبر الاقتراحات التي قدمها عضو البلدية الجبهوي جهاد سعد، والتي تبناها معظم اعضاء البلدية (مظاهرة رفع شعارات والقيام باعمال احتجاج شعبية اخرى) بانها غير مجدية وهي ليست الرد المناسب. واتهم عضو البلدية احمد حمدي بـ «الضعف» وما كان من الضروري عقد جلسة لاستنكار ما قام به عميل واحد كان بالامكان الرد عليه.

وفاجأ رئيس البلدية بانه لا يرى القضية سياسية عامة تخص الجماهير العربية وحاول التقليل من اهمية دعم السلطات للعملاء.

وقد رد عضوا البلدية الجبهويان احمد حمدي وجهاد سعد عليه بان القضية ليست شخصية ولم يأت طلب عقد الجلسة لنقص في الرجولة او لطلب حماية البلدية، فنحن قدها وقدود، وانما هناك قضية سياسية تخص الجماهير العربية عامة وشفاعمرو خاصة، ومن واجب البلدية ان لا تتهرب من مسؤوليتها وتتخذ موقفا شجاعا بمواجهة العملاء، ومن ارسلهم. وقد تساءل عشرات الجبهويين الذين حضروا الاجتماع: اذاً ما فائدة بيانات لجنة المتابعة اذا كان المقصود منها فقط ان يقوم شبابنا بضرب العملاء، دون ان تقف لجنة المتابعة والسلطات المحلية والهيئات الشعبية والقيادية سندا لهم.

وفي نهاية الاجتماع رفضت الاقتراحات لعمل شعبي نضالي ضد العملاء، وتم الاكتفاء بـ:

● التوجه للشرطة لعدم اطلاق سراح العميل.

● اصدار بيان للاهالي بعدم التعامل مع العملاء، والتطرق فيه الى امكانية رد شعبي عارم في حال معاودتهم الاعتداء مرة اخرى على اي مواطن.

واصدرت المؤسسات والهيئات الشعبية في شفاعمرو، امس الاربعاء، منشورا حول تهديد العملاء لعضو البلدية الجبهوي ومدير مكتب «الاتحاد» في المدينة، احمد حمدي، بالقتل.

وجاء في المنشور ان هؤلاء «عملاء الاحتلال الذين طعنوا شعبهم من الخلف بخناجر المحتلين المسممة اندسوا الى مدينة شفاعمرو واصبح عددهم يتجاوز العشرات او المئات الان ويعيثون في ارضنا فسادا».

وتابع المنشور «انتم تعلمون ان درجات الذل التي يستطيع هؤلاء الخونة التمرغ في اوساخها لا تعرف الحدود، لكن وقاحتهم وسفالتهم، ايضا، لا تعرف الحدود، فها هم يخرجون اليوم من جحورهم الى الهواء الطلق ليعتدوا بالفعل على احد ابناء شفاعمرو ويهددوه بالقتل، دهسا بالسيارة او بالرصاص».

وشرح المنشور تفاصيل الحادث، الذي تعرض له حمدي، واختتم مطالبا الاهالي بالدفاع عن المدينة واهلها.

● بيان الجبهة الدمقراطية ●

واصدرت الجبهة الدمقراطية للسلام والمساواة، امس، بيانا استنكرت فيه تهديدات عملاء الاحتلال لحمدي. ودعت وزير الشرطة الى العمل من اجل وضع حد لهذه الظاهرة التي تعيد نفسها.

واكدت الجبهة في بيانها على موقفها الحازم من اجل العمل السياسي والجماهيري لمنع توطين العملاء في البلاد. «فهؤلاء الذين خانوا شعبهم لن يكونوا امناء لاي شعب اخر». ودعت المؤسسات الشعبية للجماهير العربية في البلاد الى الوقوف بخندق واحد ضد توطين العملاء.

* النائب محاميد يطالب بالتحقيق في تعرض عملاء الاحتلال للسيد احمد حمدي *

وطالب رئيس كتلة الجبهة البرلمانية، النائب هاشم محاميد رئيس الحكومة، يتسحاق رابين، ووزير الشرطة، موشيه شاحل، بالتحقيق في اعتداء عملاء الاحتلال على احمد حمدي. وجاء في رسالة محاميد ان عملاء الاحتلال قاموا بتوجيه التهديدات للسيد حمدي والتعرض له بسبب مواقفه المعارضة لتوطينهم في شفاعمرو وفي القرى والمدن العربية عامة.

وقال محاميد انه من حق الجماهير العربية التعبير عن المواقف المعارضة لتوطين العملاء، ولذلك فقد طالب باتخاذ الاجراءات القانونية الحازمة تجاه العملاء. ودعا الحكومة الى اعادة النظر في قرارها بتوطين العملاء في اسرائيل.

رامون يعتبر اقامة لجنة برلمانية لفحص القضايا المالية في الهستدروت خطأ

● تل ابيب – لمراسلنا النقابي – اعلن رئيس الهستدروت، حاييم رامون، امس الاربعاء، ان تشكيل لجنة التحقيق البرلمانية لفحص الفضائح المالية في الهستدروت، هو خطأ لانها الاطار غير المناسب لاستخلاص النتائج.

واضاف رامون انه لا توجد صلاحيات للجنة التحقيق من هذا النوع لبحث القضايا داخل الهستدروت.

وبعد انتهاء التصويت في الكنيست، كان رامون اكد في كلمته من على منصة الكنيست ان السبب في تغيبه عن التصويت كان بسبب التعجيل في عملية التصويت، في الوقت الذي كان يلقي محاضرة امام طلاب الجامعة العبرية في القدس.

واقترح رامون في كلمته بأن يجري فحص العلاقات المتبادلة ما بين الهستدروت والحكومات المختلفة على مدار الـ ٢٠ عاما الاخيرة بما في ذلك حكومات الليكود.

واعلنت الناطقة بلسان الهستدروت أن النائبين عمير بيرتس وشموئيل ابيطال شريكان في موقف رامون هذا.

من جهة ثانية قال رامون انه مسرور لمصادقة الحكومة على الترتيبات المالية لسد عجز صناديق التقاعد.

● حاييم رامون في اثناء اجتماعه مع رؤساء لجان العمال ●

تعزية

نتقدم بأحر التعازي الى الزميلة شيرين تيسير ولجميع آل حصري بوفاة الزوج والاب

علي محمود حصري

نتمنى للفقيد الرحمة ولذويه الصبر والسلوان

لجنة عمال بلدية ام الفحم

تعزية

نتقدم بأحر التعازي الى الاخ العزيز محمد محمود حصري واخوانه واخواته وعائلاتهم وعموم آل حصري بوفاة المرحوم

علي محمود حصري

له الرحمة ولكم من بعده طول البقاء

خالد كساب محاميد

الكنيست تقر قانونا جبهويا لرسوم البطالة

*** بموجب القانون لا تدفع رسوم بطالة اقل من الحد الادنى للاجر * .. ٧٥ عاطل عن العمل يتقاضون رسوما اقل من الحد الادنى ***

● القدس – لمراسلنا البرلماني – اقرت الكنيست بالقراءتين الثانية والثالثة، في ساعة متأخرة من مساء الثلاثاء، قانونا جبهويا يقضي بعدم دفع رسوم بطالة اقل من الحد الادنى للاجر.

وقد بادرت النائبة الجبهوية تمار غوجانسكي لسن القانون. وقالت ان العاملين الذين يتقاضون رواتب اقل من الحد الادنى للاجر يحصل التمييز ضدهم مرتين عندما يفصلون من العمل، ويتقاضون رسوم بطالة.

ويحسب معطيات التأمين فهناك .. ٧٥ عاطل عن العمل يتقاضون رسوم بطالة اقل من الحد الادنى، ويخسرون سنويا ٤٠ مليون شيكل.

وأكدت غوجانسكي في عرضها للقانون ان القانون الجديد سيضغط على اصحاب العمل ويلزمهم بدفع الحد الادنى من الاجر.

واخيرا.. بعد الاعتراف
تعيين لجنة رسمية لادارة شؤون قرية ضميدة

● شفاعمرو – مكتب «الاتحاد» – اصدرت وزارة الداخلية قرارا بتعيين لجنة محلية لادارة قرية ضميدة، التي تم الاعتراف بها رسميا في مطلع العام الجاري.

وعليه دعا اريك راز، رئيس مجلس مسغاف الاقليمي، الذي تقع القرية في اطار نفوذه الى عقد اجتماع امس تم فيه انتخاب السيد محمد ابو ضعوف رئيسا للجنة.

وبهذا تباشر لجنة ضميدة عملها تنفيذا لقرار الاعتراف بالقرية.

عمال مفاعل ديمونا المصابون بالسرطان يطالبون بتعويضات

● حيفا – مكتب «الاتحاد» – علم، امس الاربعاء، من مصدر قضائي ان ثمانية من العاملين في مفاعل ديمونا النووي مصابين بالسرطان طالبوا الدولة بأربعة ملايين دولار على سبيل التعويضات.

كما انضمت عائلات سبعة من العاملين السابقين الذين توفوا بالسرطان، ايضا، الى الثمانية الذين رفعوا دعوى امام محكمة الصلح في القدس لارغام الدولة على دفع تعويضات لهم.

ويؤكد المدعون ان اصابتهم بالسرطان ناجمة عن الاشعاعات التي تعرضوا لها خلال عملهم في مفاعل ديمونا.

وقد عمل الثمانية لاكثر من عشر سنوات في مفاعل ديمونا الذي تشير تقديرات اجنبية الى استخدامه في انتاج قنابل نووية.

مجلس البعنة المحلي

ملحق

الاتحاد

الجمعة ٣١ آذار ١٩٩٥

مشروع «الحل الاوسط» المعلق في ... والبيوت العربية

«أبو شوشة» أيضا.. لم يبق إلا الصبار شاهدا!

«رثاء» للزميلة «عل همشمار» وعزاء.. لنا!

● اذا نفذ قرار ادارة الكيبوتس القطري، التابع لحزب «مبام»، سيكون اليوم الجمعة هو آخر يوم تصدر فيه صحيفة «عل همشمار» اليومية. وهذا هو يوم اسود لمهنة الصحافة وللصحفيين المخلصين لمهنتهم في اسرائيل.

في وسائل الاعلام الاسرائيلية، وكذلك لدى اصحاب الجريدة، تسمع تبريرا لاغلاق الصحيفة بالقول: «انتهى عهد الصحافة الحزبية». ونحن في «الاتحاد»، بوصف صحيفتنا ايضا حزبية، نشعر بغصة. بحزن شديد. فهذا المآل يضايقنا. وذاك التبرير يستفزنا. واذ نعترف بذلك، فاننا مدركون ان هذا الاعتراف «يدغدغ» بعض الذين اختاروا الخصومة معنا. ولا نملك الا ان نقول لهم «صحتين». والبقية تأتي..

الجمهور العربي عموما في البلاد، لا يعرف الكثير عن صحيفة «عل همشمار». فهي اقل الصحف العبرية اليومية انتشارا في اسرائيل عموما. وفي الوسط العربي تكاد تقرأ.

لكن قراء «الاتحاد» يعرفونها، من خلال ذكرها في صحيفتنا عدة مرات: من خلال نقاش مع احد مقالاتها او من خلال تحية رئيس تحريرها لـ «الاتحاد» في عيدها او من خلال نشر اخبار اغلاقها.. او من خلال ما تمليه علينا زمالتها.

لقد بدأت في الصدور قبل ٥٢ عاما. في غضون هذه الحقبة دخلنا معها في نقاشات وصراعات واختلاف شديد في الرأي، ولكن ظل يجمعنا - خصوصا في السنوات الاخيرة - بعض المواقف المبدئية: التعايش المشترك للشعبين في هذا الوطن وعلاقات التعاون والتآخي بين اليهود والعرب، النضال من اجل السلام العادل، وقد تطور موقف «مبام» في هذا الموضوع في السنوات الاخيرة، النضال من اجل المساواة والدمقراطية والدفاع عن قضايا الشغيلة وابراز مطالبهم وحقوقهم الاجتماعية.. الخ..

وعليه، فان توقف هذه الصحيفة عن الصدور سيكون خسارة للمعركة من اجل تلك المبادىء.

ولكن، ليس هذا فحسب، فان هناك مجموعة كبرى من الكتاب واصحاب القلم المخلصين، كانوا يعملون في صحيفة «عل همشمار»، سيجدون انفسهم من دون عمل.. او في عمل صحفي في صحيفة تجارية تقيد الحرية (حسب المصلحة التجارية فقط وعلى طريقة: صاحب المال هو صاحب القرار).. او سيتركون العمل الصحفي تماما. وهذه خسارة حقيقية لمهنة الصحافة في البلاد.

□ □ □ □ □

لكن، وبوصفنا صحيفة حزبية مرة اخرى، امامنا تحد.. وعلينا ان نجيب على السؤال: هل انتهى فعلا دور الصحافة الحزبية؟!

اذا اخذنا نموذج «عل همشمار»، سنجد ان الصحيفة ستغلق لانها تعاني من عجز في الميزانية. فانها ليست ربحية. عدد النسخ التي توزعها قليل، وكذلك عدد الاعلانات التجارية فيها قليل جدا. والدخل من هذين المجالين، لم يعد يكفي. وقيادة الكيبوتس القطري، صاحبة الجريدة، لم تعد قادرة او مستعدة لتغطية العجز.

وهنا تواجه قضيتين:

الاولى: لماذا لم تصمد «عل همشمار» في المنافسة ولم تنجح في تجنيد الاعلانات والاشتراكات؟

الثانية: لماذا يجب ان يتخلى «الكيبوتس القطري» او حزب «مبام» عن صحيفة خاصة به، بسبب المال. فهو يصرف القليل والكثير.

על המשמר

הליכוד הפך לסייע
החמאס; נתניהו:

بلا شك، الاجابة النزيهة على السؤالين تضطرنا الى رؤية الاسباب الموضوعية ايضا في فشل «عل همشمار» في الصمود في المنافسة. فالصحف اليومية الاساسية في اسرائيل تابعة لامبراطوريات اقتصادية. همها الاول والاساسي الربح التجاري. تستعمل الالوان والمساحيق. تستقطب جمهور القراء بأسلوب الاثارة وليس دائما باعتماد مبادىء الرسالة الصحفية. تغمر القارىء بمئات الصفحات، في شتى المواضيع، الجدية والسخيفة في آن واحد. تبرز بشكل خطير عنصر الثرثرة و«اللقلقة.». وفي كثير من الاحيان يكون ذلك على حساب الحقيقة الموضوعية وعلى حساب ذوق القارىء والمستوى الثقافي والاجتماعي والاخلاقي للمجتمع.

وفي اطار التنافس التجاري بين الصحف، تصرف الملايين على الجوائز المالية والمادية لاغراء القراء على قراءة هذه الصحيفة دون غيرها. ونذكر كيف عاش المواطنون في اسرائيل هستيريا المكالمات الهاتفية. تتصل بصديق لك فلا يجيبك: «الو» ولا بالمرحبا، بل: «انا اقرأ «يديعوت احرونوت»». فهذه الاجابة يمكن ان تعود عليه بخمسة آلاف شيكل. وهو ليس بالمبلغ القليل.

وهكذا، فبدلا من ان تكون الصحيفة مصدرا للمعلومات والثقافة تصبح اولا ورقة يانصيب.

وبالاضافة الى ذلك، وفي محاولة لمواجهة تطور وسائل الاعلام المسموعة والمرئية، قام اصحاب الصحف التجارية الثلاث الاساسية (يديعوت ومعريب وهآرتس) بشراء اسهم في القناة الثانية وفي محطات الاذاعة.

في مثل هذا الوضع، لم تتمكن «عل همشمار» من الدخول في منافسة. امكانياتها لم تسمح لها. وكذلك اسلوب ادارتها لم يسمح لها. فقد اختارت التغير ببطء شديد وفقط الى حد معين. وربما بالغت في ذلك. لم تستفد حتى من الخطوات الصحيحة التي اتبعتها الصحف التجارية، مثل الاهتمام اكثر بالشكل. ولم تقترب كما يجب من رغبات الجمهور، مع العلم ان بالامكان تحقيق مثل هذا الاقتراب دون التنازل عن المبادىء او عن طابع احترام مهنة الصحافة.

اما الحزب، صاحب الجريدة، والذي كان قد عوّدها على تغطية العجز باستمرار، فانه لم يبحث عن وسيلة اخرى لدعم جريدته. لم ينجح في دفع ادارتها الى تخفيف العجز شيئا فشيئا، وبالتالي تخفيف الدعم على مراحل. وقرر بضربة واحدة وقف الدعم. وراح يفاوض احد المتمولين على شراء الجريدة.

فوجدت نفسها في حالة افلاس.

□ □ □ □ □

نحن في «الاتحاد»، بالمقابل، نزعم اننا نسير في اتجاه آخر. اتجاه البقاء والتطور.

لقد ادرك حزبنا، الحزب الشيوعي الاسرائيلي، صاحب الجريدة، في مؤتمره القطري الاخير عمق الازمة التي تلم بالاحزاب الاشتراكية والشيوعية والعمالية جراء الانهيار الكبير وما يتأتى من هذه الازمة على الصحف الحزبية. ومن منطلق الثقة بالنفس، بمبادىء الحزب وتاريخه وصحة طريقه السياسي، اتاح لهيئة تحرير «الاتحاد» حرية العمل كجريدة مهنية بكل معنى الكلمة. تنشر مختلف الآراء، بما في ذلك آراء مختلفة مع الحزب او تناقش سياسته وتنتقده. وتتعامل مع الاخبار بموضوعية مهنية، فتعطي القارىء كل المعلومات المتوفرة وعلى اساس الاعتبارات الصحفية وحسب. لا تقاطع شخصا او جهة سياسية او حزبية، بل تتعامل مع الاحداث والنشاطات وفق معايير مهنية. بالطبع، لا ندعي الكمال في اي مجال، لكننا سائرون على هذا الطريق. وصفحات الجريدة هي برهاننا.

لكن لكي اكون صادقا مع نفسي اضيف، ان هناك آراء اخرى في الحزب لدى بعض الاعضاء والقادة، يعتقدون ان الجريدة يجب ان تنشر فقط ما يتوافق مع خط الحزب وسياسته. فالصحف الاخرى، خصوصا الحزبية منها، لا تتعامل مع حزبنا مثلما نتعامل نحن مع احزابها. وهذا رأي شرعي.. لكنه لا يمثل موقف الاغلبية، حسب اعتقادي المتواضع. وهيئة التحرير تواصل سياستها بانفتاح وثقة.. ومهنية.

كذلك العمل الاداري في الجريدة، وهو مرتبط ايضا بسياسة هيئة التحرير واحدهما يؤثر على الآخر، يتم بشكل مختلف عن السابق. فالاعلانات تتزايد وكذلك الاشتراكات. وهناك برامج عديدة لزيادتها اكثر. وقد وصلنا الى وضع، لاول مرة منذ خمسين سنة، لا تحصل «الاتحاد» على اي دعم مالي من اي طرف كان. ودخلها الوحيد هو من الاعلانات والاشتراكات والمباع اليومي.

ان هذا الوضع لم يتحقق بسهولة. بل رافقته تضحيات بالغة، بشكل خاص من العاملين في الجريدة، محررين واداريين وعمالا فنيين وموزعين. الذين يعملون في ضغط شديد واجر زهيد وعدد محدود. يضعون نصب اعينهم هدف الابقاء على صحيفتهم. هذا المكسب التاريخي لشعبنا، وتطوير صحيفتهم وابقائها امينة لرسالة الصحافة، لشرف المهنة، ومواصلة احترام عقل القارىء وذوقه واخلاقه.

اذن.. نحن بألف خير، بالمقارنة مع الصحف الحزبية الاخرى، بشرط أن نواصل التقدم الى الامام.

الكتاب الجديد الذي سيصدر عن «مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني» في جامعة بير زيت يحكي:

القصة الكاملة لاحتلال قرية ابو شوشة وارتكاب المجزرة فيها

■ مع انطلاق كلمات الاذان من حنجرة مؤذن القرية، في الرابعة من فجر يوم الجمعة (١٩٤٨/٥/١٤) بدأت عملية احتلال القرية ■ المجزرة، التي ارتكبت في القرية، حصدت ستين شهيدا من الجنسين تتراوح اعمارهم بين (٩) اعوام و (٧٠) عاما ■

● اعداد: برهوم جرايسي ●

■ يقوم «مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني» التابع لجامعة بير زيت بجهود مكثفة في اطار مشروع علمي وتوثيقي لجمع حقيقة ما جرى في العام ١٩٤٨... هذه الحقيقة المخبأة في قلوب واذهان من عاشوا النكبة وذاقوا مرارتها.

ومع مر السنين اصبحت هذه الذاكرة في خطر النسيان. وفي مساعي مقاومة هذا الخطر، نجح المركز، حتى الان، في اصدار ١٨ كتابا توثيقيا عن ١٨ قرية فلسطينية هدمت وشرد اهلها. وهو الان في صدد اصدار ٤ كتب اخرى في العام الحالي. وافضل ما يستطيع الانسان الفلسطيني ان يحفظه في بيته هو هذه الكتب التي تشكل خير وسيلة لحماية الذاكرة من النسيان ومعرفة الحقيقة، الحقيقة المرة.

وقد نشرنا امس مقابلة مع الدكتور وليد مصطفى، احد الباحثين الاساسيين حول مشروع المركز. (راجع «الاتحاد» - الخميس ٩٥/٣/٣٠).

وفي نهاية الاسبوع الماضي نشرت بعض وسائل الاعلام، ومنها «الاتحاد»، انباء عن الكشف عن مجزرة اخرى من تلك التي اقترفتها العصابات العسكرية اليهودية في العام ١٩٤٨، وهي مجزرة ابو شوشة. وستصدر كافة الوثائق والمعلومات الاساسية والشهادات عن هذه المجزرة في كتاب خاص.

وقد عرض الدكتور صالح عبد الجواد، مدير المركز، والدكتور وليد مصطفى على «الاتحاد» محتويات الكتاب. ونقوم هنا باستعراض مقتطفات اساسية من الفصل الخامس والاخير منه وهو الذي يحكي قصة احتلال قرية ابو شوشة والمجزرة التي ارتكبت فيها.

يشمل الكتاب خمسة فصول: يتحدث الفصل الاول عن جغرافية الموقع، بكل نواحيه، والفصل الثاني عن تاريخ الموقع، والفصل الثالث عن الحياة الاقتصادية والفصل الرابع عن الحياة الاجتماعية في القرية.

ونشير هنا الى ان الكتاب بمجمله يحتوي على معلومات غنية يستحيل جمعها في صفحات جريدة.

وتجدر الملاحظة هنا الى ان هذا الاستعراض يشمل فقرات كاملة من محتويات الكتاب المذكور. كذلك، فان هناك نصوصا بالعامية نقلت عن ألسن شهود العيان الذين تحدثوا الى باحثي المركز.

● ● قرية ابو شوشة ● ●

تعتبر ابو شوشة (قضاء الرملة) من المواقع الفلسطينية الهامة عبر التاريخ. فقد بينت الحفريات الاثرية التي جرت في الموقع ان عمر القرية يمتد الى اكثر من ٦ الاف سنة. وقد برزت وتطورت في الموقع وعلى مدى ٤ الاف عام ويزيد، مدينة هامة، بل وفي احدى المراحل (٣٠٠٠ - ٢٧٠٠ ق.م) دويلة، وذلك بحكم موقعها الهام بين الساحل والجبل والطريق المؤدي الى مصر.

بلغت مساحة الاراضي التابعة للعرب في القرية في العام ١٩٤٨ (٢٨٩٦) دونما ومساحة مسطح البناء فيها (٢٤) دونما. ووصل عدد البيوت القائمة عليها الى (٢٢٠) بيتا قطنها (٩٥٠) انسانا. هجر اهل القرية كافة من قبل القوات العسكرية الاسرائيلية في الاسبوع الثالث من شهر ايار ١٩٤٨، بعد المذبحة التي كشفنا النقاب عنها. ويقطن نصف اهل ابو شوشة وانسالهم في الضفة الغربية، وبشكل مكثف في رام الله ومخيم الامعري ومخيم شعفاط وبيت عنان وعين عريك وبير زيت والعروب. والنصف الاخر في الاردن والدول العربية والاجنبية.

كانت قرية ابو شوشة تقع على السفح الجنوبي الغربي لتل الجزر المطل على السهل الفلسطيني الاوسط والمرتفع ٢٠٠م عن سطح البحر. وابو شوشة واحدة من ٥٨ قرية كانت تتبع لقضاء الرملة، هدمت جميعها بعد تهجير اهلها في الاعوام ١٩٤٨ - ١٩٥١. ومن اهم القرى القريبة من ابو شوشة كانت البرية والقباب وعمواس واللطرون ودير محسن وصيدون وخلدة وعاقر والنعاني.

● ● خطط الترهيب والقتل والتشريد ● ●

تعددت في سنوات الاربعينات خطط العصابات الصهيونية والتي هدفت لطرد المواطنين العرب من وطنهم، لفتح المجال امام اقامة دولة احادية القومية، من اليهود فقط. وقد ارتكزت هذه المخططات على مقولة «دولة بدون بُعد استراتيجي اقليمي لها، هي دولة ميتة».

ابو شوشة.. قرية فلسطينية في قضاء الرملة يمتد عمرها الى اكثر من ٦ آلاف سنة.. كان يقطنها ٩٥٠ انسانا في ٢٢٠ بيتا!

ومن بين هذه المخططات برزت تلك التي عرفت باسم «الخطة د». وهذه الخطة جاءت لتبين هذه السياسات الواجب تبنيها والافكار التي تم فحصها والتي شكلت بمجموعها المخطط الصهيوني الكامل والنسيج لما ستؤول اليه الامور.

فالخطة (د) تعتبر اول خطة استراتيجية وضعتها عصابة «الهاجاناة» بغرض احتلال مناطق مخصصة للعرب على نطاق قطري واسع، والسيطرة عليها. ولقد بدئ بتنفيذها في ١/آذار/١٩٤٨، وكان من مهندسي هذه الخطة يغئال يادين، رئيس «شعبة العمليات» في «الهاجاناة»، وكانت تقضي بحسم الصراع مع العرب في الداخل، ومن ثم الانتقال مباشرة لادارة حرب تقليدية بعد غزو الجيوش العربية المتوقع في ١٥ ايار ٤٨. فكان المعنى الحقيقي والعملي للخطة (د) هو تفريغ القرى العربية من سكانها وتدميرها.

كانت الخطة (د) تنطوي على طرد السكان العرب وترحيلهم، ولقد وفرت الخطة غطاء رسميا مقنعا لقادة وحدات «الهاجاناة»، وكان باستطاعتهم الاعتماد عليها والاسترشاد بنصوصها عند كل عملية يقومون بها.

ونستطيع القول ان هذا المخطط، وكل المخططات الشبيهة، كانت مقدمة لتنفيذ ترانسفير جماعي بأبشع الطرق. وهذا ما تبناه قادة الصهيونية وعلى رأسهم دافيد بن غوريون.

● ● مقدمات المجزرة ● ●

مشروع لجنة بيل الملكية للعام ١٩٣٧ والذي اعرب فيه رئيسها عن موافقته على قرار التقسيم «ليس لانه يكتفي بجزء من فلسطين. ولكن لانه يفترض بعد ان نشكل قوة كبيرة في اعقاب قيام الدولة اليهودية سنلغي التقسيم ونتوسع في كل ارض اسرائيل.. ستصبح لنا مساحة عظيمة بعد الترحيل القسري للعرب. اني احبذ ترحيلا»!

معروف عن اهالي ابو شوشة انهم لم ينخرطوا، منذ قرار التقسيم في المواجهات مع اليهود. وكانت علاقتهم مع اقرب تجمع يهودي اليهم - مستعمرة جيزر - علاقة غير عدائية، يصورها حادث زفاف احد ابناء القرية على فرس ناطور المستعمرة، والذي كان يعرفه العرب باسم «زوري»، غير ان اسمه الحقيقي الكامل «زورو بابل فيزنر»، والذي كان دوره يتجاوز على ما يبدو نطاق الناطور، الى منسق للعلاقات بين المستوطنين وقرية ابو شوشة.

وجاء الحادث الاول عقب قرار التقسيم وفي بداية عام ١٩٤٨، بينما كانت جماعة من سكان ابو شوشة في طريق عودتهم الى القرية سيرا على الاقدام من الرملة، وسلكوا طريقا منحرفة قليلا «صيفية»، وهذه اقصر الطرق من الرملة الى البلد «دغري». وبينما هم في الطريق اذ ببعض المسلحين اليهود - وعلى ما يظهر من خارج مستوطنة جيزر - يقومون بخطف واعتقال افراد المجموعة. فما كان من يهود مستعمرة جيزر وعلى رأسهم زوري هذا، الا ان تدخلوا في الموضوع، واطلقوا سراح المحجوزين. ويستشهد احد الرواة الرئيسيين لهذا البحث، السيد يوسف سعيد الحمري من القصة السابقة للتدليل على وجود علاقات «جيرة، وعلاقات مش حامظة».

ويؤكد السيد احمد صالح البلبيسي كلام الراوي السابق من خلال قصة اخرى وقعت بعد حادثة احتجاز المجموعة واطلاق سراحها بعدة ايام، فقد كان بعض الفلاحين يقومون بحراثة ارضهم المجاورة لمستوطنة جيزر في منطقة تدعى «وعرة العاصر» في سلام واطمئنان. فانسلت مجموعة عسكرية يهودية حتى اقتربت من الحراثين حيث فاجأتهم والقت القبض عليهم ثم قالوا لهم: «بدنا تجيبو لنا المخاتير نتفاهم معهم. ترك الفلاحون دوابهم ومعداتهم وراحوا جابوا المختار اللي هو الحاج حسين ابو العينين. اما المختار الثاني اللي هو يوسف محمود، فلم يتم احضاره لبعد داره. واكتفى اليهود بحضور الحاج حسين. فرحب به قائد المجموعة اليهودية المسلحة وقال له: احنا مش لي يافا، يافا فيها حرب، وسلمة فيها حرب، مربوط الحرب بين العرب واليهود. ولكن احنا في جيزر وابو شوشة مع بعض، ارضنا وحاجاتنا مع بعض، وجيرة طيبة، ما في حرب بيننا. واللي بده الحرب من اليهود يحمل حاله ويروح على مكان الحرب، واللي بده الحرب من ابو شوشة هذه سلمة ويافا فيها حرب يروح يحارب هناك اما احنا خلينا هون جيران».

فردّ عليه المختار بحكمة: «هذا شيء طيب، بس ما تعتدوش علينا، هذا جيشك تسلل وخوف الفلاحين والحراثين؟ رد عليه: لا، احنا مش

معتدين، احنا حبّينا نتصل معك ونقولك هذا الكلام واتفقوا على شبه هدنة وعدم اعتداء على بعض».

وتقول السيدة شريفة الزغموري ان حراس المستعمرة – جيزر – «كانوا يقولوا لاهلنا ما تخافوش، اذا انتوا ما اعتدتوش علينا احنا منطلعكم بسلام، لو صار مهما صار».

ان محاولة يهود مستوطنة جيزر تأمين اتفاق مع اهالي ابو شوشة ملوحين بالقوة، كانت عملية شائعة لم تقتصر على ابو شوشة وحدها. فقراءة سريعة لكيفية فرض الاتفاق، واستهجان المختار حول اسلوب ووسيلة الاتصال لا تتلاءم وعقد هدنة وتفاهم. ثم ان وضوح المخطط الصهيوني لتفريغ الارض من سكانها كما تظهره المصادر والروايات اليهودية، وبالتحديد خطة (د)، يجعلنا نرجح ان ذلك الاتفاق غير المكتوب، كان مجرد مناورة لتحييد المناطق بسكانها اولا، وعدم قيام تنسيق كامل بين القرى والمواقع العسكرية الفلسطينية حتى لا يكون حجم المقاومة اوسع، كما انه تكتيك لكسب الوقت.

وتوالت الاحداث على قرية ابو شوشة كاشفة لاهلها عن النوايا والغايات. فقد تعرضت القرية الى عدة اعتداءات. فيذكر اهالي القرية انهم هوجموا مرات من قبل اليهود دون القدرة على تحديد هويتهم.

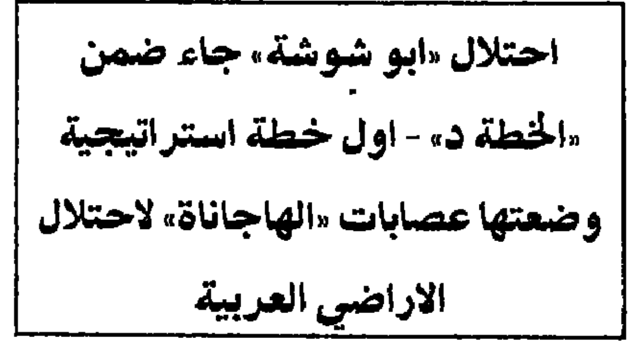
وفي تسارع الاحداث، تأتي الشرارة التي اشعلت السهل كله. وتحديدا في ٤٨/٣/٢٠. وتورد الرواية الاسرائيلية لحرب فلسطين ٤٨/٤٧ تفاصيل الحادث هذا: ففي ذلك التاريخ، «قتل نتيجة كمين في حقول ابو شوشة حارس حقول مستعمرة جيزر زوري بابل فيزنر. واتضح ان عملية القتل نفذتها «عصابة» من شرق الاردن متمركزة في قرية القباب بمساعدة رجال ابو شوشة».

اما رواية اهل القرية حول تفاصيل الحادث، وظروفه فانها غنية: البداية كانت مقتل ابن ابراهيم حسن، من قرية القباب، قتل ابنه عند جسر قرية القباب اثناء مرور ابني ابراهيم حسن الى القدس بيابور طحين. وكنتيجة لذلك اراد ابراهيم حسن ان ينتقم لابنه، فجاء بمحمد القايز شقيق مثقال القايز على رأس مجموعة من البدو المسلحين رابضا من عرب القايز من شرقي الاردن ليساعده على الانتقام لابنه من مستوطنة جيزر.

ولدى وصولهم، احتلوا دار الخواجا، وطلب ابراهيم حسن من محمد الحاج – ابو نوح – الذي سيلعب دورا هاما فيما بعد – ان يساعده. وطلب كذلك من المخاتير والوجها، مثل اسماعيل بشير ان يساعدوه لتنسيق هجوم مع القادمين على مستوطنة جيزر القريبة.

وقد استطاع ابراهيم حسن، وبمساعدة محمد الحاج، تجنيد عدد من ابناء قرية ابو شوشة للمشاركة في الحملة على مستوطنة جيزر. بالرغم من معارضة العديد من شيوخ القرية الذين نوهوا باتفاق عدم الاعتداء الموقع مع المستوطنة – جيزر. ورأوا ان الهجوم على المستوطنة سيدخل القرية في معركة غير متوازنة.

ولما تمركزوا في البلد، شاهدوا الناطور زوري ومعه فرسه يتجول في الحقول. واعتبروا ان قتله بمثابة «واحد مقابل واحد». وفعلا، استطاعوا ان يتسللوا اليه وقتلوه واخذوا فرسه.



احتلال «ابو شوشة» جاء ضمن «الخطة د» - اول خطة استراتيجية وضعتها عصابات «الهاجاناة» لاحتلال الاراضي العربية

● ● نسف بئر مياه الشرب! ● ●

لم يمر هذا الحادث دون رد انتقامي، وجاء الجواب سريعا، فصدرت الاوامر الى قيادة الكتيبة (٢) التابعة للواء «جفعاتي» بالقيام بعملية انتقامية مدروسة. ولاجل ذلك، حشدت في مستعمرة جيزر فجر يوم ٣١/ ٤٨/٣ اي بعد حادثة القتل بعشرة ايام، قوة مشكلة من فصيلين من قوة الميدان من لواء غفعاتي وثلاث جماعات من رجال مستعمرتي نعان وجيزر. وبدأت العملية بعد منتصف الليل. وكان الهدف نسف منزل قائد «العصابات» في القرية ومبنى البئر الخاصة بالقرية ايضا. وليس هذا وحسب، وانما ايضا نصب كمين على الطريق بين ابو شوشة والقباب، تحسبا من «الفزعات» سواء من اهل قرية القباب او البدو المناضلين المتمركزين فيها. وقد حدث ان اشتبكت هذه القوة مع مجموعة قدمرا للنجدة من قرية القباب، والحصيلة اصابة شاب من قوة الميدان من رحوبوت بجراح مميتة.

فتمكنت القوة اليهودية من نسف بئر البلد الذي يشرب منه الاهالي، ونسف بيت من الباطون المسلح يعود الى جميل الحايك، يقع في الطرف الجنوبي للبلد بواسطة لغم، ولقد شاء القدر الا يقع ضحايا بين سكان المنزل.

اما لماذا تم نسف بئر البلد بالذات، وهو مصدر الشرب الاساسي لاهل القرية؟ فذلك لحرمان اهل البلد من هذا المصدر الهام الذي يشكل احد دعامات البقاء في القرية. كما كان نسف المنزل لبث الرعب بين السكان واجبارهم على الرحيل، خوفا من مصير مماثل لبيوتهم وعائلاتهم.

تبع ذلك توتر بين قرية ابو شوشة واليهود عامة في المناطق المجاورة، خاصة مع اقتراب ١٥ ايار ٤٨ موعد انتهاء الانتداب، وهو التاريخ الذي ستعلن فيه الدولة اليهودية، وهو اليوم الذي ستدخل فيه الجيوش العربية الى فلسطين. وكانت الحركة اليهودية قد وضعت خطتها الاستراتيجية لتأمين الشروط اللازمة لقيام الدولة اليهودية، من حيث احتلال الارض وطرد سكانها العرب، والسيطرة على خطوط المواصلات الرئيسية التي تؤمن استمرار الامدادات بين المواقع اليهودية.

وفي السياق نفسه، فقد كان مصير قرية ابو شوشة محدد سلفا، وهو التدمير والتهجير ضمن ذلك المخطط الدموي، والذي يرشد الى هذا الفهم، ليس مقتل زوري، وانما وقوع ابو شوشة داخل حدود اراضي الدولة اليهودية وفق خطة قيام اسرائيل حسب مشروع التقسيم، واشراف القرية على الرملة واللد والقرى المجاورة، التي تعتبر في نظر اليهود خطراً هائلا. كما قال بن غوريون: «اللد والرملة تشكلان خطرا هائلا في هذه الحرب».

وعى ابناء ابو شوشة ذلك بشواهد الحس والعقل معا، فهم يرون النشاط والتحركات العسكرية عالية الوتيرة، ثم سقوط قرية خلدة، جارتهم الجنوبية في ٤٨/٤/٣ وغيرها. وكان لا بد من اتخاذ القرار المناسب، ولم يفر ابناء قرية ابو شوشة كما اعتقد مناحيم بيغن مذعورين صائحين: «دير ياسين، دير ياسين»، مع ادراكهم ان عدم فرارهم سيكلفهم ثمنا باهظا.

تباحث اهالي القرية ومخاتيرها واعيانها بالموقف الواجب اتخاذه، واتخذوا قرارا بتعزيز الحراسة على القرية، اسوة بما قام به ابناء سائر القرى والمدن الفلسطينية، خاصة بعد محاولات اليهود التقدم والقيام بعمليات لانتزاع زمام المبادرة من ايدي الثوار، ومن يساندهم وعدم الاكتفاء بالرد والدفاع. فحالة القلق والتحسب والتوقع التي سادت ارجاء فلسطين عقب قرار التقسيم، دفعت السكان العرب وبالذات اولئك القريبين من المستوطنات اليهودية الى تشكيل وحدات حراسة. فقام سكان ابو شوشة بوضع برنامج حراسة ليلي تحسبا لاي هجوم مباغت، فحفروا العديد من الخنادق، واقاموا بعض الاستحكامات على محيط مسطح القرية التي تقدر بـ (١٠ – ١٥) خندقا واستحكاما، وجندوا من يقوم بالحراسة الليلية طوعا او بأجر.. الاهالي يدركون.. احتلال القرية لم بعد بعيدا..

امام هذه الجاهزية والاستعداد، وفي هذه الاثناء، كثفت العصابات الصهيونية ضغطها على القرية، حيث تحرشت وحدات يهودية بحراس القرية اكثر من مرة، ويبدو ان ذلك كان بهدف جس النبض، واستكشاف المواقع الدفاعية، ودراسة ردود الافعال، وحجم القوة المتمركزة في القرية. ولهذا الغرض، قامت قيادة «الهاجاناة» بعملية استطلاع خبيثة وذكية، مستغلة العلاقة بين اهل القرى والقوى العربية والمحلية الاخرى، كالجيش العربي وجيش الانقاذ وفصائل المجاهدين، فأرسلت مجموعة من «المستعربين» في سيارة جيب الى القرية تنكروا وكأنهم قوة عربية لدراسة اوضاع القرية الدفاعية، ومعرفة واقعها قبل شن الهجوم النهائي.

اما كيف عرف ابناء القرية أن اولئك يهود، فان الصدفة هنا لعبت دورها، اذ كانت مجموعة من عمال ابو شوشة الذين يعملون في سكة الحديد، والاشغال العامة في طريق عودتهم الى القرية سالكين طريقا مختصرة من قرية القباب صوب عين بردة. وبعد ذلك هنالك طريق رجلية «صيفية» قريبة من مستوطنة جيزر، فشاهدوا سيارة الجيب تعرج وتدخل المستوطنة، وعندما قدموا الى القرية وتجادلوا في امر السيارة «المشبوهة» ربطوا الوقائع والاحداث فأدركوا اللعبة التي اتقنها اليهود، وادرك الاهالي ان الهجوم الحاسم بقصد احتلال القرية ليس ببعيد.

وفعلا، بعد ذلك بأيام قليلة، وفي ظهيرة يوم ٤٨/٥/١٣، لاحظ اهالي قرية ابو شوشة تحركا نشطا لعربات يهودية بين مستعمرة جيزر والمستوطنات الاخرى القريبة كمستوطنة خولدا ونعان، وأيقنوا ان اليهود يحشدون قواتهم في مستوطنة جيزر للقيام بعملية اقتحام للقرية على غرار عمليات الاقتحام التي نفذتها «الهاجاناة» في القرى العربية المجاورة تمهيدا للسيطرة على البلاد بعد جلاء الانجليز في ١٥ ايار.

لقد كانت تعليمات خطة (د) تترك لقائد لواء غفعاتي، شمعون افيدان (وهو اللواء الذي يدخل ابو شوشة في نطاق عمله) مجالا واسعا للتفكير. فبالنسبة لطريقة خلق الاستقرار على خطوط الدفاع جاء في الخطة: «القرى العربية الموجودة ضمن نطاق مسؤوليتك والتي يجب احتلالها وتدميرها او حرقها عليك انت ان تقرر بنفسك مع مستشاريك للشؤون العربية واستخبارات (شاي) ما هو الشيء المناسب عمله بهذه القرى»! ومن هذا المنطلق، ارتأى شمعون افيدان مسح قرية ابو شوشة من الوجود سيما وانها تدخل ضمن اراضي الدولة العبرية بموجب قرار التقسيم، فبدأ الحشد لتنفيذ نصوص الخطة (د).

احس ابناء القرية بالخطر المحدق بهم، فاجتمعوا الساعة الخامسة مساء من اليوم نفسه، ٤٨/٥/١٣ في منزل «ابو حلمي». وكان على رأس المجتمعين يوسف محمود مختار جماعة عواد والحاج حسين مختار المصاروة، وابو حلمي وغيرهم، وتداولوا امرهم وتشاوروا حول الاسلوب الاجدى والتصرف الاسلم حسب المعطيات القائمة (موازين القوى، الحشد اليهودي الكبير، ضعف تسليح اهل القرية..). ولقد تم عرض الدرس المستفاد من دير ياسين، اذ يروي السيد يوسف سعيد الحموي: «واحنا قاعدين، كان ختيار برأسنا اسمه اسماعيل بشير، انعرض هذا الكلام واحنا جالسين، قال للحرس: ديروا بالكم شوفوا شو صار لدير ياسين، اجيت انا وقلت لهم: دير ياسين شكل واحنا شكل. قال لي كيف؟ اجبته: دير ياسين في نُص احياء اليهود لكن احنا فالتين وبره احياء اليهود. قال لي يا بنيي لا تستبعد كمان يهجموا علينا مثل دير ياسين».

واستمر النقاش والمداولات، فكان ان انقسموا الى رأيين: الاول، يقضي باخراج النساء والاطفال وكبار السن، والحلال والمواشي من القرية، وابقاء الرجال المسلحين للدفاع عنها. ولقد مثل هذا الرأي بشكل رئيسي كبار السن والوجهاء، والمخاتير ومنهم: اسماعيل بشير وعبد الله ابو الطبول وغيرهم، ومنطقهم في ذلك تجنب خسائر من المتوقع ان تكون فادحة في الارواح والاموال ولا مبرر لها، علاوة على الاستفادة من الدروس والعبر المستقاة من قرى فلسطينية اخرى.

اما الرأي الثاني، فنادى اصحابه بعدم اخراج النساء، والاطفال والشيوخ والحلال، وذلك حتى يدافع المسلحون عن قريتهم باستماتة وحرارة، فاذا خسروا فانهم سيخسرون كل شيء، مما يشكل لهم حافزا ودافعا في القتال، فإما رد المعتدين واما الشهادة. وكان يقف على رأس القائلين بهذا الموقف محمد الحاج (ابو نوح) وكمال عيسى سليمان.

وقد حسم الموضوع سريعا لصالح الرأي الثاني. وتجدر الاشارة الى اهمية موقف السيد محمد الحاج (ابو نوح) الصلب والحاسم في تبني هذا الرأي، فكان دائم التشرير للناس، حتى ان يوسف الحموي يذكر عبارات هذا الشخص

أهالي ابو شوشة احسّوا بالمخطط وادركوا الخطر.. وضعوا برنامج حراسة ليلية وحفروا الخنادق ولكن..

جيدا: «يا زلمة، عيب وحرام اللي يطلع من ارضه ملوش شرف، لازم الواحد يثبت يحمي عرضه وارضه، فثبتوا الناس». وكذلك، من بين ما قاله ابو نوح اثناء المداولات: «ان المدافع يفقد القوة والاستماتة والروح المعنوية والدافع للدفاع عن البلد»، فلا غرابة في أن ينهي بذلك النقاش العارم بهذه الحجة المقنعة وما رافقها من خجل الناس من الخروج.

ويبدو ان هنالك رابطا بين قرب موسم الحصاد والفلاحة، وبين تدعيم موقف اهل القرية بالصمود وشحنهم بالمشاعر، فحياة الفلاح وتعبه على مدار العام يتوقف على حصاد محصوله، وهذا كان المنبه الاخر لحس اهل القرية، فعز عليهم ترك جهودهم وعرق جبينهم تذهب هدرا، وكذلك فان تذكرهم الاعتداءات السابقة التي شنها اليهود، والتي ردت على اعقابها خائبة مع علمهم ان الهجوم الذي يعده اليهود هذه المرة مختلف الا انهم مصممون على المواجهة.

● ● الاستعدادات الفعلية للمواجهة ● ●

على اعتاب «يوم الوقعة»، كما يطيب لابناء القرية ان يسموه – يوم المعركة الحاسمة والهجوم النهائي – كانت الخارطة العسكرية تتمثل في قوة نيران مكونة من حوالي (٧٠) بندقية، منها عشرون غير صالحة، والباقي ما بين جيدة ومتوسطة، خصوصا تلك التي تم شراؤها من الحدادين في الرملة.

اما «البرن» القديم الذي اشتروه من الرملة «فاذا اطلق عدة طلقات متواصلة كان يحمى، ونصير ندوّر على مي علشان نبرده، وكان مع «البرن» ذخيرة صندوقين خشب ويطلع (٧ – ٨) مشوط». كان التركيز على الجهة الشمالية – جيزر – لان الحشد كان يتم على ارضها، اما سائر الرجال الذين تم تجنيدهم وقدر عددهم بـ (١٥٠) رجلا مع اهل قرية صيدون المجاورة، ويضمنهم المسلحون بالبنادق فكانوا موزعين على سائر الجهات وفي داخل

القوات التي هاجمت ابو شوشة ضمت اكثر من (٥٠٠) نفر.. اطلقوا النار على كل شيء متحرك دون تمييز.. وحتى البهائم لم تسلم!!

البلد. وكان من ابرز المدافعين الحاج نمر الذي استمد خبرته ومهارته في استعمال السلاح من خدمته في الجيش العثماني، وكان يشهد له بدقة الاصابة ذلك انه كان صيادا: «كان الحاج نمر يصيب الطير وهو طاير».

علاوة على ذلك، كان هنالك الغام زرعها بعض اهالي القرية في مواقع مختارة جنوب القرية، حيث كان من المتوقع شن الهجوم اليهودي عبرها، اذ قام ابراهيم ابو السعود بنصب قرابة (١٥ – ٢٠) لغما.

في مساء ذلك اليوم ٥/١٣ «والناس كانوا محتاطين، ووضعوا الحريم والاطفال في ثلاث مغر: مغارة في الجهة الغربية والتي اسمها مغارة دار عوض، ومغارة الجوهري في وسط البلد وهي المغارة الرئيسية، والمغارة الشرقية مغارة دار سالم». ويتذكر احمد صالح البلبيسي ذلك فيقول: «في حدود الساعة الخامسة مساء يوم ١٣ الشهر، بدأ اليهود في التجمع في مستعمرة جيزر، وكانوا يجوا من مستوطنات خولدا وعقرون ونعان، بجيبوشهم وبسياراتهم ومصفحاتهم، فاهل البلد شعروا في هجوم الليلة على البلد. احنا المغرب، انا وامي وستي وخواتي واخوتي، اخذنا ما يكفينا من المؤن لليلة او ليلتين وذهبنا الى مغارة دار عوض، والحارات الاخرى نفس الشيء عملوا. فظلينا طول الليل والناس صاحية لانه متوقعين في هجوم. ولم يكن رجال معنا في المغارة، الرجال في ذيال البلد للدفاع عن القرية. اكبر ولد من الاولاد في المغارة كان في سن العاشرة او (١١) سنة، والباقي كليته خارج المغر في ذيال البلد حرس».

وكانت القرية محاصرة، فالجهة الجنوبية مغلقة نظرا لوجود مستعمرة خولدا، اضافة الى ان اليهود كانوا قد احتلوا قرية خلدة الفلسطينية في ٤٨/٤/٣. اما الناحيتان الشمالية والغربية، فهما مغلقتان ايضا لوجود مستعمرتي جيزر ونعان على التوالي، اضافة الى وجود اتفاق عدم اعتداء، غير مكتوب، بين قرية النعاني ومستعمرة نعان. واما المنفذ الوحيد فهو الجهة الشرقية حيث قرية عمواس والقباب التي سنعرف ان اليهود قد انتشروا فيها ايضا مما جعل ابو شوشة تقع بين فكي الكماشة الصهيونية.

وفي المقابل، كان الحشد والتجميع عند اليهود في ذروته، قوات من لواء «جفعاتي» علاوة على قوات من المستوطنين، ولقد قدر شهود معركة ابو شوشة عدد القوات الغازية بما لا يقل عن ٥٠٠ مقاتل مزودين بأسلحة هائلة من رشاشات وبرنات وستينات، وبلطات وشرخات وكاسترات تمنطق بها المهاجمون، علاوة على الطريقة الكلاسيكية في اجتياح القرى بقصفها بقنابل الهاون والمورتر تمهيدا للاحتلال ببث الرعب ونشر الموت، كي يخلقوا جوا من الارباك والخوف لخلق توجه لدى السكان بالفرار التلقائي.

في هذا الجو المشحون انقطع الرجاء بامكانية ذهاب بعض وجهاء القرية الى مستعمرة جيزر «لتهدئة الخواطر»، فشعرة معاوية قد قطعت، ولم يفكر احد من ابناء القرية بذلك لاستحالته.

واثناء ليلة ١٣ – ١٤ ايار، احاطت الوحدات المقاتلة التابعة للواء غفعاتي بالقرية، وكثفت تواجدها بشكل خاص في الجهة الشرقية التي اعتقد ابناء قرية ابو شوشة بأنها خالية، وذلك بهدف قطع الطريق على اي هبة من القرى المجاورة (عمواس، القباب) لمساندة اخوانهم في ابو شوشة.

● ● «يوم الوقعة» ● ●

فجر يوم الجمعة ٤٨/٥/١٤ الساعة الرابعة صباحا، ومع انطلاق كلمات الاذان من حنجرة مؤذن القرية، بدأت عملية الاحتلال، وانهالت زخات رصاص الاسلحة المختلفة يتخللها قصف بمدافع الهاون على القرية والمدافعين. كان الهجوم مركزا في الجهة الشمالية «بجبهة» لا تتعدى (٢٠٠) متر، وتقدمت وحدات المهاجمين بغزارة وكثافة الامر الذي جعل وضع المدافعين في الجهة الشمالية (٤ استحكامات مع برن) صعبا للغاية. ومع كل ذلك، رد الحراس على المهاجمين، فهم يدركون اهمية ذلك الموقع الذي يشرف على القرية ويكشفها كشفا، الا ان النيران الكثيفة التي وجهت على مواقعهم والتي لا قبل لهم بها وبردها، وذخيرتهم وعددهم القليل كسر صمودهم في ذلك الموقع مما دفعهم الى الانسحاب الى وسط القرية.

بانسحاب من بقي من المدافعين من الجهة الشمالية الى وسط البلد، حسمت المعركة لصالح القوات المهاجمة. وفي محاولة من كبار السن لتعديل الموقف، خاصة وانهم عرفوا حجم القوة اليهودية الكبير، فما كان منهم الا ران اطلقوا الخبر وصيحات الاستغاثة للحراس في الجهة الجنوبية وغيرها ولاولئك المدافعين المنتشرين في القرية، حيث هرعوا لنجدة اخوانهم في محاولة منهم لاغلاق الثغرة التي حصلت. ولكن ما ان جاءوا ووصلوا منتصف القرية حتى وجدوا الجنود اليهود يزحفون – ايضا – باتجاه مركز البلد فاشتبكوا معهم قليلا موقعين جنديين قتيلين.

وفي هذه الاثناء، كانت الوحدات اليهودية المرابطة في الجهات الاخرى قد بدأت بالزحف نحو القرية، وكان ان تمركز بعض الجنود فوق دار الخواجا الاستراتيجية والموجودة على التل والتي تبعد (٢٠٠ – ٣٠٠) متر عن البلد، وكان ذلك مقصودا لغرض توجيه القوات التي تريد افتراس القرية. وفي هذا يقول يوسف الحموي وهو احد المدافعين: «لما فظت الدنيا، الجيش اليهودي صار متقدم في اطراف البلد. وهان وهان، وانا شفت القواد اليهود وهم فوق الدار، معهم «دربيل» (منظار كبير) يحركوا الجنود من هذا الموقع لهناك، ومن هذه الجهة لهذيك، حتى يلتقوا مع المسلحين العرب، انا كنت في الجنوب فوق بير البلد، عند دار محمد الحايك اللي انتسفت سابقا، وكان معي برودة امريكية بتطلع (٥) طلقات، اجا الصوت علشان المسلحين اللي في الجنوب يطلعوا للشمال فطلعنا، لكن لقينا اليهود دافقين علينا مش عارف وين تدور، مع ان القرية قريتنا، وقديش بدك تدافع وتطلع ما فش فايدة».

من الطبيعي ان سير الامور كان لصالح القوة المعتدية، ومتوافقة مع تخطيطها. ولما تمكن اليهود من القرية سادت حالة من الارتباك في صفوف المدافعين، وفي ظل انعدام اي خيار امامهم، تحركت غريزة البقاء لارشادهم



الى السلوك في مثل هذه الحالات، فلاذوا بالفرار حفاظا على ارواحهم، وعدم الجدوى من البقاء في القرية. وما هي الا ساعات قليلة حتى سقطت القرية – مع الضحى – كليا بأيدي اليهود الذين اخذوا يصولون ويجولون فيها بلا حسيب ولا رقيب.

كانت خسائر المدافعين، بمن فيهم من المستسلمين الذين اطلقت النار عليهم، لا تتعدى العشرة ذلك ان معظم اولئك المدافعين استطاعوا الفرار والنجاة بأنفسهم.

وحيث ان السيد يوسف الحموي (ابو السعيد) كان من بين المدافعين، وتحرك في ارجاء القرية يوم الوقعة، فانه استطاع مشاهدة شخصين من المدافعين تطلق عليهم النار: اما الاول فهو عمر عبد الرحمن السيد تم اسره في الارض الوعرة في خلة البلد، وكان بحوزته «ستن وطقية حديد»، اسره اليهود واطلقوا الرصاص عليه. اما الشخص الثاني فكان راتب ابو الطبول، وكان زميل يوسف الحموي «صاوبره، ولم يلحقوا به، انا كان بامكاني ارد عليهم ولكن مني ولفوق يهود، فاذ بدي ارد، بده يطلع الطلق بدهم ييجوا علي، وانا مش متأكد هل الراتب تعدى سنسلة صيدون تبعت ابو عيد ويلا لا، المهم ظل ماشي (٢٠ – ٣٠) خطوة على قد ما يجيب بعدين ارتمى في الزرع».

● ● المجزرة ● ●

بالرغم من ادعاء الاسرائيليين ان الاوامر والتعليمات الصادرة للجنود حين التحام اي موقع كانت تتلخص في اطلاق النار على المسلحين، واعتقال غير المسلحين فان الجنود اثناء دخولهم قرية ابو شوشة، اطلقوا النار على كل شيء متحرك امامهم دون تمييز بين مسلح او مستسلم او رجل طاعن في السن، حتى البهائم لم تسلم من ذلك. دليلهم في ذلك صناعة اللزاع وذبح اولئك الذين لم يرحلوا، لانهم ببساطة لم يرحلوا «وليمحو كل ما يشكل حضورا» – حسب تعبير الياس صنبر.

مارست فرق الذبح والقتل هواياتها، فكان اول ضحية علي عبد الله السقعان ختيار يزيد عمره عن الـ (٥٥) عاما اطلقوا عليه النار وهو واقف امام باب دار الجوهري، ثم سعيد العالم والذي عمره كعمر الشهيد السابق ولم تكن معه لا قطعة سلاح ولا رصاص، واحمد عبد العزيز ابو نمرة ومحمد ابراهيم واحمد الجوهري وحسن ابو العينين والمختار حسين ابو العينين واولئك كلهم «ختيارية» كبار في السن.

وكما يبدو، فان اولئك الطاعنين في السن (ختيارية)، اعتقدوا ان اليهود لن يؤذوهم، وكان اسوأ الاحتمالات لديهم ان يتم اسرهم، لذلك آثروا البقاء في القرية، في شوارعها وامام منازلهم علهم يخففون من حجم التخريب الذي سيلحق بالقرية، او ليحولوا دون عمليات التصفية الجسدية او الاعتداء على الاعراض، او انتهاك الحرمات. لم يشفع لهم كبرهم، وعدم مشاركتهم في الدفاع عن القرية، او كونهم عزلا غير مسلحين، بل ابتدأت المجزرة بهم.

واثناء المطاردة داخل القرية، دخلت مجموعة من ابناء القرية الى دار هاشم عوض الله وذلك للاختباء فيها من «وجه» الجنود، لكن الجنود شاهدوهم، واقتحموا عليهم البيت. ويروي احمد صالح البلبيسي، الذي كان

«قال الجنود: خسارة تموتوا بالرصاص.. وضربوا رؤوسهم بالبلطات والشرخات»!

شاهدا على المجزرة: «قال الجنود: خسارة تموتوا بالرصاص، وضربوا روسهم بالبلطات والشرخات وكان عددهم (٦ – ٨) ومنهم: محي الدين حسن ابو الطبول، ادريس محمد الحاج، ابراهيم محمد الحاج، حسن علي ابو السعود».

ولقد شاهد احمد صالح البلبيسي ذلك المنظر البشع وهو لم يبلغ بعد (١٠) سنوات، فيقول بهذا الصدد: «كان الدم نازل مبرك، حتى حسن ابو السعود راسه مفغوشة، وقسم من راسه مايل مركي على الحيط وهذا المنظر لا يزال يطاردني ككابوس».

وايضا، وبينما كان افراد العصابات يحكمون قبضتهم على القرية، ويعيثون فيها الفساد، وخلال عملية بحثهم عن فريستهم، وجدوا ضالتهم في عدد من الشبان، فألقوا القبض عليهم وساقوهم معهم، ثم امروهم بالاصطفاف ووجهوهم الى «الحيط»، ورشوهم بالرصاص وقتلوهم كلهم بجانب بيت اسماعيل بشير. ومنهم سليمان محمد الحايك واخوه سليم محمد الحايك.

واستمر سيناريو المجزرة: كان عبد الرحمن العربي يعمل ناطورا عند اليهود، وظن انه بحكم علاقته مع اليهود فانهم لن يؤذوه، فصادف عمله حادثة قتل زوري بابل فيزنر حارس مستوطنة جيزر. وكان الذي عقّد الامر، وخلق المشكلة هو ان الاثنين كانا يعملان معا و«اصدقاء». فجاءت حادثة قتل الناطور اليهودي «زوري» لتبدأ الشكوك تدور حول عبد الرحمن العربي إن كان له ضلع فيها ام لا. والظاهر ان اليهود رجحوا تعامله وتواطؤه مع الثوار العرب وذلك لسبب بسيط: انه لم يقم باخبارهم عن النية في تنفيذ العملية، وعن وصول بعض المسلحين البدو الى القرية من القباب. فعندما دخلت فرق الذبح للقرية توجهوا الى بيته وسألوا عنه حتى القوا القبض عليه. سألوه: هل تعرف ابن قتل «زوري»؟ فاجابهم بالاثبات. فأمروه بالتحرك الى ذلك المكان حيث قتل زوري، واعطوه فاسا ومجرفة «طورية» وامروه بحفر حفرة «جورة»، وبعد ان اتمها امروه بالنزول فيها والتمدد في قاعها وكأنه ميت. استجاب لذلك، وبدم واعصاب باردة اعدموه بالرصاص.

وحتى العجزة لم يسلموا من عربدة فرق القتل الذين نشروا الموت في كل مكان. حيث قتلوا الشيخ المقعد محمد عيسى ابو السعود والمرأة العاجزة امنة الحو، والشيخ الطاعن في السن محمد الحايك، الذين تركوا في منازلهم لصعوبة نقلهم الى المغر. ووجد الطفل خليل محمد سلامة مذبوحا في وسط الشارع. وخطف محمود الزغموري ولم يعرف مصيره، وهناك من قال ان جثته وجدت في وادي المالح غربي القرية، واستمرت عمليات الذبح، والقتل اسبوعا كاملا بتعمد وبنية مسبقة.

وقد كانت حصيلة هذه المجزرة الرهيبة حوالي ستين شهيدا من الجنسين غالبيتهم من ابو شوشة، وتسعة من صيدون تتراوح اعمارهم بين ٩ – ٧٠ عاما.

وكما في كل مجزرة اقترفتها العصابات الصهيونية في القرى الفلسطينية المنكوبة، تبع مجزرة ابو شوشة معاناة الاهالي الباقين الى حين التشريد!

● ● القرية اليوم ● ●

ان الزائر الى موقع بيوت ابو شوشة لا يرى الا اشجارا من الحرج والبرقوق مرتبة في صفوف دون اي اثر لبقايا بيوت بينها وعلى ارضها، وبذلك يصعب التصديق ان قرية كبيرة كانت تقوم مكان هذه الاشجار حتى عام ٤٨، فالذي حصل ان البيوت جرفت ومحيت تماما، وحرثت مواقعها واستعملت كأرض لمستوطنة زراعية يطلق عليها اليوم اسم «كرمي يوسف».

اما بقية اراضي القرية، فقد اقيم عليها عدة مستوطنات، الاولى مستوطنة «جيزر» واقيمت عام ٤٥ في ظاهر التل الشمالي، والثانية مستوطنة «بتاحيا» واقيمت عام ١٩٥١ في ظاهر ابو شوشة الجنوبي الغربي، اما الثالثة فكانت مستوطنة «بيت عزيل» واقيمت عام ١٩٥٥ في ظاهر ابو شوشة الغربي. وفي ايامنا هذه، تغطي هذه المستوطنات الاربع (الزراعية منها وغير الزراعية) معظم اراضي القرية. وما تبقى من ارض على المنحدرات الجبلية والوديان فهو مزروع باشجار المشمش.

ورغم هذا المحو شبه التام للقرية، الا ان موقعها ما زال يحوي بعض اشجار السرو والتين والصبر والرمان وشجرة واحدة من النخيل، تعتبر دليلا على وجود قرية عربية في الماضي.

«الفرقة رقم ٢٠» - مجموعة نشطاء «أمنستي» في طمرة

١٨ شابا وشابة انتسبوا الى عضوية «منظمة العفو الدولية» دفاعا عن حقوق الانسان في انحاء مختلفة من العالم ◻ الى جانبهم مجموعتان من الفتيان والفتيات تضمان (٣٠) نشيطا ونشيطة ◻ المجموعة تبنت قضية المعتقل الاذربيجاني علي أوغلي (٤٩ عاما) الذي اختطفته القوات الأرمينية ◻



* انوار ابو الهيجاء، وايمان ذياب في احدى الفعاليات في كلية مار الياس في عبلين *

◻ تقرير: أحمد حمدي ◻

◻ مجموعة من الشبان والشابات من بلدة طمرة الجليلية، ذوي الآراء السياسية المختلفة تربطهم فكرة واحدة هي: النضال من اجل حقوق الانسان في العالم. هذه المجموعة تحمل اسم «فرقة رقم ٢٠» وتابعة لمنظمة العفو الدولية «أمنستي» وفرعها في اسرائيل.

تضم المجموعة (١٨) شابا وشابة يلتقون كل اسبوعين في منزل احد الاعضاء. يتداولون حول السبل لايصال كلمتهم الى اوسع قطاعات الناس. يقدمون المحاضرات لطلاب المدارس. يلتقون الشباب في الأحياء، يشرحون عن معاناة الوف المعذبين على الأرض وفي اي مكان في العالم. يتقصون الحقائق حول انتهاكات حقوق الانسان في اسرائيل ويجمعونها ثم يرسلونها الى مقر المنظمة، دون ان يعالجوها هم. فالاعضاء - حسب انظمة المنظمة - لا يقومون بأي من اعمال المنظمة الخاصة بحقوق الانسان في اوطانهم، وانما تترك هذه الأعمال لاعضاء من بلاد اخرى ليقوموا بها.

وتمشيا مع هذا المبدأ تبنت هذه المجموعة الطمراوية ملف سجين رأي اذربيجاني مسجون في ارمينيا اسمه علي اوغلي (٤٩ عاما). وهو مختطف من قبل القوات الأرمينية وموجود حاليا في ارمينيا. وتقوم المجموعة بحملة للدفاع عن هذا المعتقل فتبعث بالرسائل الى السلطات الأرمينية تطالبها باطلاق سراحه وغيرها من النشاطات.

* البداية... حب استطلاع! *

وتقول المربية في علم الاجتماع، الآنسة تغريد كامل عياشي التي انتخبت قبل شهر ممثلة عن الفرع الاسرائيلي في المجلس الدولي للمنظمة (وهي واحدة من ثلاثة اشخاص من اسرائيل تم انتخابهم في المجلس الدولي) ان منظمة العفو الدولية تواصل منذ حوالي (٣٤ عاما) عملا دؤوبا دفاعا عن حقوق الانسان. وقد عملت المنظمة منذ تأسيسها في العام ١٩٦١ في الدفاع عن اكثر من (٤٢) الف انسان من ضحايا انتهاكات حقوق الانسان في مختلف انحاء العالم. وهناك اليوم جمهور يؤمن بقضايا



* تغريد عياشي *

حقوق الانسان ويزداد يوما بعد يوم يقوم بجمع الحقائق عن مظالم الحكومات ويقوم بتحركات لرفع هذه المظالم ودعم القوى العاملة للحيلولة دون وقوع الانتهاكات في المستقبل.

وتضيف عياشي ان عدد الحكومات التي انضمت الى مواثيق حقوق الانسان الدولية هو الآن اكبر مما كان عليه في اي وقت مضى، مما يضع الحكومات في موضع المساءلة عن اعمالها من قبل المجتمع الدولي. ومع هذا، فما زالت انتهاكات حقوق الانسان مستمرة.

وتضيف الآنسة تغريد: لقد تعرفت على منظمة «أمنستي» في جامعة حيفا من خلال معرفتي لمركزة الفرع الاسرائيلي للمنظمة، السيدة ياعيل فايس. ومن خلال الحديث معها ذكرت نوع العمل الذي تعمل فيه فأثار لدي حب الاستطلاع. وجهت اليها عدة اسئلة عن عدد الاعضاء العرب في الفرع الاسرائيلي والمجموعات العربية التي تعمل في هذا المجال فعرفت منها عن وجود مجموعة عربية واحدة من قرية عرعرة. وعندها فكرت باقامة مجموعة للمنظمة في منطقة الشمال. وبالفعل اقمنا هذه المجموعة ودعونا رئيس فرع «امنستي» في اسرائيل السيد سلسو فقدم لنا محاضرة عن الموضوع وأقمنا مجموعة طمرة التي يبلغ عدد اعضائها (١٨) شابا وشابة. كما أقمنا مجموعتين من الفتيان والفتيات تتكون من (٣٠) فتى وفتاة. وبعد اسابيع من عملنا استلمنا ملفا من المنظمة حول قضية المواطن الاذربيجاني علي اوغلي الذي اختطفته القوات الارمينية من اذربيجان ويقبع حاليا في سجون ارمينيا. وقد قمنا بحملة لجمع تواقيع من الطلاب الجامعيين وتلاميذ المدارس وأرسلناها الى السلطات الأرمينية مطالبين باطلاق سراحه.

* منطلق أممي.. *

ويقول الطالب الجامعي شرف حسان: من منطلق أممي







* شرف حسان *

اقتنعت بفكرة «امنستي» دفاعا عن حقوق الانسان. واليوم عملي متواصل من اجل ايصال كلمة «أمنستي» الى اوسع قطاعات الناس. وعلى صعيد عمل مجموعتنا فقد اقمنا عدة نشاطات في المدارس شاركت فيها مجموعات كبيرة من الطلاب. وقمنا بارسال بطاقات استنكار الى السلطات الامريكية مطالبين باطلاق سراح سجناء الضمير المعتقلين هناك وللسلطات الهندية طالبنا بالكشف عن مصير عدد من النساء اختفين مؤخرا. كما طالبنا بوقف تنفيذ احكام الاعدام في عدد من دول العالم، الى جانب المطالبة باقامة لجان تحقيق خاصة في انتهاكات حقوق الانسان في العالم.

* دفاعا عن كل المضطَهَدين! *



* نجاح داود *

وتقول الاخت نجاح داوود (صاحبة صالون في طمرة): نحن كأبناء للشعب العربي الفلسطيني عانينا من سياسة الاضطهاد والتمييز وواجهنا حياة قاسية. هذه الأمور مجتمعة دفعتني للانضمام الى منظمة «امنستي» لحقوق الانسان. ونحن في هذا العمل نخدم كل المضطهدين في العالم، خاصة وانني من قرية صفورية المهدومة والتي طرد اباؤنا واجدادنا منها عنوة وبقوة السلاح. وهذا يجعلني افكر في ان ما اصابنا قد اصاب الكثير من شعوب العالم، وخاصة الأقليات القومية.

* لو لم تكن.. لكنا مجبرين على اقامتها!*

ويقول الاستاذ صالح بشير، المربي في ثانوية طمرة: ان كوني أعيش في دولة تعاملني

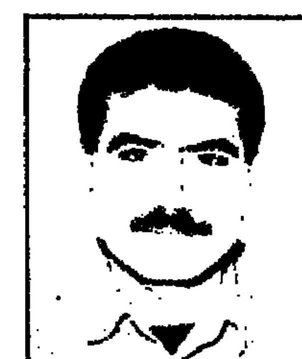
* صالح بشير*

كمواطن من الدرجة الثانية او الثالثة يؤلمني جدا، وخاصة جراء سياسة التمييز التي تمارس ضدنا في مختلف المجالات. وهذا شجعني على الانضمام الى منظمة «امنستي» لكي ادافع عن حقوق المعذبين والمضطهدين في العالم. ولو لم تكن منظمة اسمها «امنستي» لكانت الظروف التي نعيشها اجبرتنا على ايجادها. وبذلك

اقوم بنشاط واسع لنشر فكر المنظمة بين اوساط الشباب والجمهور لاطلاعه على ما تقوم به المنظمة دفاعا عن حقوق الانسان في كل بقعة من بقاع العالم.

* العرب - ٣٦٪ من الاعضاء في اسرائيل *

يقول المهندس وفيق شحادة، وهو عضو في اللجنة الادارية للفرع الاسرائيلي (ومركزه في تل ابيب) ان الاعضاء العرب في فرع «أمنستي» في اسرائيل


* وفيق شحادة *

يشكلون نسبة (٣٦٪) من مجموع الاعضاء. وهذا الارتفاع كان في السنة الأخيرة من خلال النشاطات التي قمنا بها في عدد من المدن والقرى العربية. وفي كل سنة نعقد مؤتمرا سنويا لاعضاء «أمنستي» وكل عضو يحق له الاشتراك في المؤتمر. ومن خلال المؤتمر نلخص عملنا السنوي ونضع برنامجا للسنة التالية.

وعن انضمامه الى المنظمة يقول: لقد تعرفت على عمل «أمنستي» في العام ١٩٩٠ اثناء وجودي في مركز المنظمة في تل ابيب. وحول عمل المجموعة في طمرة يقول السيد شحادة: لقد سمح لنا مؤخرا بتقديم محاضرات لطلاب المدارس عن عمل المنظمة وكفاحها من اجل حقوق الانسان في العالم. واليوم نقوم بتأهيل (١٠٠) طالب عربي في اطار منح دراسية ليكونوا في المستقبل محاضرين عن حقوق الانسان في الوسط العربي.

وتقول الطالبة في ثانوية طمرة انوار ابو الهيجاء: اعمل بين مجموعة من (٢٥) فتى وفتاة من صفوف العاشر والحادي عشر، نجتمع بشكل منتظم، نتناقش ونقرأ وندرس مواد ونشرات عن حقوق الانسان في العالم لكي نأخذ دورنا في المستقبل في الدفاع عن حقوق الانسان. وأريد ان اؤكد ايماني وايمان زملائي الشباب بقضية حقوق الانسان كقضية من الدرجة الاولى.

* العنف ضد المرأة *

ويقول المحامي المتمرن نضال عثمان: منذ (٥) أشهر انتسبت الى مجموعة منظمة «امنستي» في طمرة. وخلال الأسابيع الأخيرة كونت فرقة من طلاب وطالبات في المدرسة الثانوية اقدم لهم المحاضرات عن حقوق الانسان وعن المعاناة التي تعيشها فئات مختلفة في دول شتى من العالم. وفي اطار عملنا كمجموعة تابعة لمنظمة «امنستي» نطرح الكثير من القضايا. فمثلا، في الفترة الاخيرة طرحنا مشكلة تعذيب المرأة ومشكلة ختان الفتيات في مصر ونحاول ايصال ابحاثنا هذه الى مقر المنظمة في لندن لكي تعمل على محاربة هذه الظواهر. واليوم، بشكل خاص، نواجه مشكلة العنف ضد المرأة. فهذه قضية تهمنا لأن فيها التمييز الصارخ ضد المرأة. ومن ضمن محاضراتنا عن حقوق الانسان نتطرق لحقوق المرأة وننبه المواطنين الى خطورة هذه الاوضاع لانها تعتبر اعتداء على حرية الانسان.


* نضال عثمان *

وتقول السيدة سميحة حجازي: الهدف في عمل مجموعتنا هو ايصال كلمتنا الى اوسع فئة من الناس لكي يتعرفوا على عملنا الانساني. انا ومجموعتي نؤمن ايمانا مطلقا بمبادىء الدفاع عن حقوق الانسان كقضية انسانية وعصرية في ذات الوقت. ومن منطلق ايماننا هذا ننتشر في المدارس والاحياء لنشر هذا الفكر لتوعية الناس بأن هناك اناسا حقوقهم مهضومة في هذا العالم الكبير.

* تسعى لتشكيل مجموعة في شفاعمرو *

وتقول نظام ابو الهيجاء المربية في مدرسة «عمال» في شفاعمرو: ان اقتناعي بفكرة مجموعة «امنستي» هو اقتناع داخلي وموضوع الدفاع عن حقوق الانسان بالنسبة لي هو قضية انسانية من الدرجة الاولى. لذلك بدأت بنشاطات في شفاعمرو لاقامة مجموعة جديدة للمنظمة. ونحن نجتمع كل اسبوعين مرة وندرس امورا عديدة تتعلق بحقوق الانسان، بما فيه حق المرأة بالمساواة وحقوق الطفل في الحياة السعيدة.


* نظام ابو الهيجاء *

وتقول العاملة الاجتماعية ايمان ذياب: ان النضال من اجل حقوق الانسان يجب ان يكون بحق نضالا دوليا. وذلك لأن حقوق الانسان حقوق عالمية. والنداء المنتشر في كافة انحاء العالم يستطيع ان يعزز حقوق الانسان. ونحن هنا كمجموعة لنا دور كبير بتقصي الحقائق حول حقوق الانسان في بلادنا في جميع المجالات وارسال تقارير عنها الى مقر المنظمة في لندن.

في اطار مشروع البهائيين في «جادة بن غوريون» في حيفا:

هدم بيوت عربية الاصل لاقامة «حدائق معلقة»!

□ سامر رنّو، شاب فلسطيني ولد في الكويت ويسكن في واشنطن... جاء الى حيفا لرؤية منزل جده ووالديه فوجد البهائيين قد اشتروه تمهيدا لهدمه □ بيوت عربية اخرى سيتم هدمها في اطار المشروع □ «هذه البيوت امانة فكيف يجوز بيعها للهدم»!! □ بلدية حيفا: سيتم هدم (٦) منازل كلها املاك خاصة للبهائيين □ نائب سكرتير عام البهائيين: «المنازل ليست جزءا من الحي العربي في حيفا»!! □

● سامر رنّو على سطح منزل جده وفي خلفية الصورة تظهر «قبة البهائيين» في حيفا ●

● تقرير: سهيل قبلان ●

■ مهما جرت المحاولات لتغيير معالم عربية في مدينة حيفا، يظل عبق تاريخ اهلها العرب الذين اجبروا على الرحيل في عام (١٩٤٨)، يضوع في الاجواء، ومئات العائلات العربية الحيفاوية التي تقيم حاليا في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، في عين الحلوة والمية مية وبرج البراجنة والبرموك وغيرها، لا تزال تحتفظ بمفاتيح البيوت في حيفا، لانها لم تعدم الامل بالعودة. عائلات كثيرة قضت ودفنت في الغربة. وعائلات لا تزال على قيد الحياة، تحمّل النسائم وامواج البحر والحمام الزاجل يوميا، حنينها واشواقها وحبها، الى الطمأنينة الاولى وملاعب الصبا وعتبات الدور. وبالمقابل تعب ملء الرئتين، من النسيم القادم من حيفا وموج البحر وهديل الحمام، وفي العيون تساؤلات: كيف البلد؟ وماذا حل بالبيوت والاملاك والحواكير؟ كيف حال الوادي والحليصة؟ وهناك من ولدوا في الغربة، وسمعوا من ذويهم عن حيفا ومناخ حيفا وكرملها وميناتها، وبأنها عروس الكرمل وحورية البحر. ويحلمون بالعودة إلى حيفا، والى بيوت الآباء، التي اجبروا على تركها.

وهذا الاسبوع جاء الى حيفا شاب فلسطيني اسمه سامر رنو، في الخامسة والعشرين من العمر لرؤية بيت جده وماذا حل به. وفوجىء بما رأت عيناه. وسيفاجأ سامر اكثر، عندما يعرف ان يد الهدم بدأت بتقويض اسس البيت لازالته من الوجود، لتنفيذ مشروع سياحي ينفذه البهائيون في «شارع بن غوريون»، ويصل حتى الميناء، بتشجيع من بلدية حيفا وتقديمها كل التسهيلات.

● قصة سامر ●

اجبرت عائلة سامر على الرحيل في عام (١٩٤٨)، فتوجهت شمالا الى لبنان. ومن لبنان الى الكويت ومن ثم الى امريكا. وبين رحيل والديه وميلاده (٢٢) عاما. ولد سامر في الكويت عام (١٩٧٠). ومنذ ولادته رضع مع حليب الام، الحب للبيت الاول والبلد الاول. ودائما كان يسمع من والديه عن بيتهما في حيفا وعن عريشة الدوالي امامه. والياسمينة على شباكه. عن الشباك الذي ظل مفتوحا والباب الذي يحتفظان بمفتاحه. وملأ البيت تفكيره، خاصة ان الاهل تركوا فيه ما تعسر حمله من خوابي الزيت والاواني وبراميل الطحين والحبوب، على امل ان الاياب قريب. واشتد عود سامر وشب على حب البيت، راسما في خياله صورة عنه، كم غرفة فيه وما شكله، والى اي اتجاه تطل الشرفة، وهل تصفر الريح في شبابيكه التي ظلت مفتوحة؟ هل هو مهجور ام استولى عليه احدهم، هل لا تزال الدالية خضراء والياسمينة بيضاء فواحة العبير؟

يقول سامر: تعرفت منذ سنتين على الفلسطينية سهى الصباغ من حيفا، في مكان اقامتي في واشنطن، حيث حضرت لاستكمال مشروع تأليف كتاب عن المرأة. سألتني، بعد التعارف، من يكون كامل رنو، قلت لها جدي. قالت لي: نحن اصلنا من صفد، استأجرنا بيت جدك في حيفا وسكنا فيه عدة سنوات، لكننا خرجنا منه قبل ثلاث سنوات. حدثتها عن حنيني الجارف لزيارته ومعرفة مصيره، وتنسم عبير عرق الذين بنوه وشيدوه.

● دهشة اللقاء ومشروع الحدائق! ●

وحصل سامر على عنوان البيت، في شارع «بن غوريون» (٦٩). وهو مبني من الحجر ومن (٤) طوابق، على تلة المعبد. وسامر يحمل اليوم الجنسية الامريكية. ويعمل مراسلا لوكالة انباء. جاء قبل اسبوعين في زيارة الى البلاد. وكان همه الاول رؤية البيت في حيفا.

واقترب سامر من البيت بعد ان عرف موقعه. وتسارعت خطواته عندما لاح له البيت وتسارع خفقان قلبه، واشتعل الحنين في داخله، متى ستلامس كفه «فاجورة» الباب ويفتحه، ويطل عليه من غرفه ماضي اهله. ووصل. صعد على الدرج، وقرع الباب. وقرع مرة اخرى. وفجأة انشق الباب عن شاب اجنبي سأله: ماذا تريد؟ فأجابه سامر: هذا بيت جدي وجئت لاراه. فدعاه الاجنبي: تفضل. وجلس سامر تتنازعه شتى الافكار. واندفعت الذكريات وتزاحمت، حاول ايجاد توازن بين ما سمعه من اهله وبين ما رأت عيناه. وعرف من ساكنيه انهم متطوعون من قبل البهائيين في حيفا، الذين اشتروا البيت ليهدموه، لانه يعرقل تنفيذ مشروعهم المخطط لاقامة الجنائن المعلقة في المنطقة.

وتحدث سامر مع موريس سميث، نائب سكرتير عام البهائيين في حيفا. فعرف منه ان البهائيين خططوا مشروعا كبيرا بكلفة (٢٥٠) مليون دولار، سينجز حتى عام (١٩٩٨). وهو عبارة عن جنائن معلقة، تبدأ من تلة المعبد، حتى الميناء. وذلك تنفيذا لوصية رسول البهائيين بهاء الله، الذي امرهم بتزيين المنطقة التي يسكنون فيها. ولتنفيذ المشروع، سيحول شارع بن غوريون، الى «شارع سياحي». وستهدم عدة بيوت فلسطينية الاصل، على جانبي الشارع، منها بيت كامل رنو.

● الهدف: تشويه المعالم الفلسطينية ●

وقال سامر ردا على سؤال: الهدف واضح، وهو تشويه المعالم الفلسطينية في حيفا، خاصة وان تلك البيوت تابعة للفلسطيني عام (١٩٤٨). ويثير الاستغراب ما لمسته من حماس شديد لتنفيذ المشروع، بحجة استقطاب وجذب السياح من جميع انحاء العالم. والمشروع سيدر ربحا ماديا كبيرا على البلدية. وبالنسبة لتوقيت المشروع قال سامر: تجري المفاوضات حاليا بين اسرائيل والفلسطينيين. وعلى الجانبين البت في قضية اللاجئين. ولذلك هنالك حملة مسعورة لشراء املاك الغائبين، لفرض امر واقع في المفاوضات، وعلى الارض. وبذلك يشكلون عائقا امام عودة اللاجئين. فالى اين سيعودون واملاكهم قد ضاعت وراحت؟! ويقدم البهائيون اكبر خدمة لاسرائيل بشرائهم ممتلكات الفلسطينيين والقضاء عليها.

ويقول سامر: يدعو البهائيون الى وحدة العالم بحكومة واحدة وجيش واحد وبرلمان واحد ولغة واحدة خاصة والى المحبة بين الناس، لكنهم في حيفا يفعلون عكس ما ينادون به. ففي حيفا يغيرون معالم ويقضون على تاريخ ويمحون ذكريات.

ويفكر سامر بشراء بيت في حيفا. فبيت جده راح، وجرافات الهدم كانت «اقوى» من حقه فيه. ويناشد سامر العرب الذين يسكنون في المنطقة عدم بيع الاملاك للبهائيين. ويطلب من كل مستأجر ان لا يقبل بأموال «الخلو». وعلى المستأجرين ان يظلوا في البيوت لانها بمثابة امانة تركها اصحابها الذين لا بد سيرجعون يوما ما.

● بلدية حيفا موافقة ●

تشجع بلدية حيفا المشروع وتقدم تسهيلات للبهائيين، تحت حجة: «مكانة المدينة العالمية». وردا على عدة اسئلة وجهناها الى بلدية حيفا، قالت الناطقة بلسانها، براخا بريل: «ترى بلدية حيفا اهمية كبرى بمشروع الجنائن المعلقة، الذي سينفذه البهائيون، والذي من شأنه ان يشكل اكبر عامل جذب للسياح، فريد من نوعه في العالم. ويندمج المشروع جيدا مع مخططات التطوير لجعل حيفا المدينة السياحية الاولى. ومن تلك المخططات، اقامة شبكة فنادق على شاطىء البحر ومتنزه مركزي وقصر مؤتمرات وصالات عرض. وهنالك عدة مخططات تنسجم مع جنائن البهائيين. وبنيت على سفح الكرمل متنزهات منها متنزه «لوزي» وهو يشكل الجزء الاعلى للمشروع ويمتد الى المدينة القديمة حيث الحي الالماني، الذي يشهد عملية ترميم واسعة. وسيقام في الحي الالماني مركز للفنون وآخر تجاري. وسيوصل الحي الالماني بالبناء، وسيخصص جزء منه للمقاهي والملاهي وتنزه الناس».

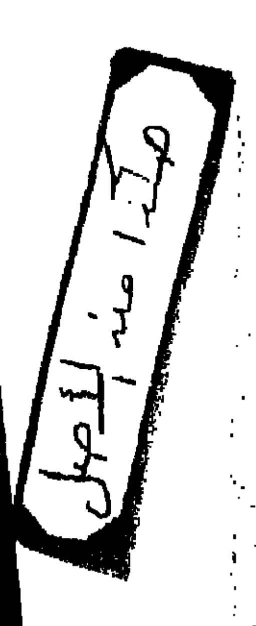
وقالت بريل: «المصادقة على تنفيذ المشروع اعطيت قبل بدء مفاوضات السلام وبدون اي ارتباط معها. ومع ذلك نحن على قناعة ان التوقيع على اتفاقيات السلام مع الدول العربية، سيساهم كثيرا في تطوير حيفا سياحيا وتجاريا. ولا شك ان مشروع البهائيين الفريد من نوعه، يندمج في اطار هذه الاهداف، خدمة لاهالي المدينة وزوارها».

واكدت بريل في ردها «ان المشروع كله ممول من اموال البهائيين، بدون اي شيكل من بلدية حيفا او الدولة. وفي اطار تنفيذ المشروع ستهدم (٦) منازل، كلها املاك خاصة للبهائيين»!

● البهائيون يفاوضون الاهالي على اخلاء البيوت ●

اشترى البهائيون الاراضي والعقارات بشكل سري وعلني، بهدف

(البقية على ص ١٦)



آراء ومواقف

● فشة خلق ●

□ يكتبها: يوسف فرح □

حكاية للجيل

● قبل ان يتشا مب لجر ذلك اليوم من ايام الربيع الاولى ذلك العام يا ولدي، افاق الناس على صوت سماعة تطوف بأحياء القرية وازقتها الترابية الضيقة.

مرسم الاعراس لم يكن قد بدأ، ولم تكن سموم السماعات قد بدأت تلوث جو القرية النقي الصافي.. تساءل البعض: ترى هل صار الرعاة في بلادنا يجمعون قطعان الماشية بواسطة السيارات ومكبرات الصوت، على غرار رعاة تكساس!! لكن كيف سيجمعون «رغيف الراعي» عصر كل نهار وبعد «ترويحة العجال» من البيوت الطينية الفقيرة؟ بالسيارة ايضا!!

كانت متعة انسانية حقيقية يمارسها ابو علي «سرحة العجال» لجر كل يوم، ان يسمع النساء والصبايا والفتيان يوصونه «هذا الحمار، او هذه البقرة، او هذا الثور يا ابو علي.. دير بالك عليه».. ليرد بكلمة مقتضبة مزهوة: «طيب»، تكون بمثابة ايصال بتسلم «البضاعة»، وتعهد باعادتها سالمة مملوءة البطن..

لكن الصوت كان مختلفا ذلك اليوم، وبدا غير مفهوم اولا، ثم ما لبث المستيقظون يستوعبون ما يجري...

«يا اهل البلد ممنوع واحد يطلع من بيته» هكذا من الباب للطاق، وبلا صباح او مساء!

وخلت الشوارع والطرقات الا من بعض المعلمين والطلاب الذين حملوا حقائبهم ومضوا، فوجدوا انفسهم «مصلوبين» على جدران مدارسهم او قريبا منها، و «اين الجنب اليرجعك»!

لقد استعد الناس لتنفيذ «عكس القرار» الذي اتخذه رؤساء السلطات المحلية في شفاعمرو، تحت مظلة بوليسية سوداء كثيفة، وتحول قرار الاقلية منهم الى قرار شعب بأكمله «الاضراب»، فما نخاف عليه قاعدون عليه! فكيف يسكتون على اقتطاع لحمهم ومراعي ماشيتهم!

وماذا يبقى لهم اذا طارت هذه الاتلام المتبقية من الارض!!

كان الصوت الداخلي الداعي للخروج اقوى من سماعة الشرطة، وعدد المصلوبين على جدران المدارس في تزايد، واصداء لطلب النجدة تأتي من الشرق القريب.. ورغبة في التفرج على منع التجول تطغى على النفوس.. و... اذا كل اهل البلد في الشوارع، وجها لوجه مع «رعاة تكساس» بحبالهم وسياراتهم وقنابلهم الغازية ورصاصهم الحي..

ولاول مرة يا ولدي عرفنا قيمة البصل «الدفاعية»، اضافة الى طعمه مع اللحم المشوي صباحات الاعياد.. هم يقذفوننا بالقنبلة ونحن نسارع الى رؤوس البصل الكبيرة..

ويتلاشى الرؤساء، الاكثرية، الذين تعودوا على مراضاة حاكم اللواء، كلما هوّش عليهم كلبه المدلل، والذين تعهدوا له (للحاكم..) بافشال الاضراب.. ولاول مرة يختفي حملة الاسلحة المرخصة، والمقربون من اوكار ضبع السلطان.. ولم يبق في الصورة غير الوانها الاصلية، ولاول مرة يا ولدي عرفنا سر قوتنا.. فها هو ولد من القرية يفاوض جنرالات «جيش الدفاع» لاطلاق سراح جنوده الاسرى..

وتحتدم المواجهة... وتتراوح بين كرّ وفرّ... واهل القرية ادرى بخباياها وخفاياها من الحرامية..

وفي لحظة يبدو الدخان اشد قتامة وسوادا... وعندما يقلع البصل في تبديده يتكشف كرم الزيتون عن ثلاث زهرات، قد هوت، قبل ان تتفتح مع نسيم الصباح الربيعي الجديد.. يتلوث الجو.. وتختلط رائحة اللحم برائحة البصل والدخان، وعلى الافق الواصل بين القرى الثلاث ترتسم عبارة .٣ آذار ١٩٧٦...

من يومها يا ولدي صار لنا في كل آذار عيد... يفرقنا! وما عجز السلطان عن فعله، كنيتاه نحن همه!! تغيرت المواقع بتغير المواقع، فكم عضو كنيست وكم رئيس سلطة محلية وكم زعيم وكم حركة سياسية.. كانوا ضد ان يكون لنا عيد كهذا.. قالوا عنه يغري السلطة بالبطش بنا، وقالوا عنه بدعة.. وطالبوا بالغائه او تلوينه بغير الاحمر، ولما عجزوا وجدناهم يتسابقون الى المنصات..

هكذا نحن.. اذا كانت لي كلمة فأنا مع يوم الارض، والا، «اخربط» الدبكة!

وصارت الدبكة «تتخربط» يا ولدي، وصارت «الخربطة» روتينا ألفناه.. نجتمع في المهرجان بالالاف، فما يكاد اول الخطباء يفتح فاه، حتى تنهال عليه الشتائم والحصى.. وينقض المتربصون على المتربصين، وننشغل في مطاردة بعضنا في الفجاج الفسيحة، بعد ان طردنا الحرامية.. قاتلنا في سبيل الارض؛ لماذا نقتتل اذا لم يبق ارض نقاتل في سبيلها!! وتشج رؤوس ويسيل دم، بينما يواصل الخطيب خطابه: «ان وحدة شعبنا وجماهيرنا هي السلاح الاقوى الذي نواجه به السلطة الغاشمة! هذا هو الدرس الذي تعلمناه من يوم الارض...».

عن جد

– لماذا يحيي بعضنا ذكرى (٣٠) آذار في (٢٩) آذار؟

– ربما لتقليل عدد «الطرشات».

– وربما لاثبات اننا شيع واحزاب و... طوائف!!

● غازي ابو ريا ●

لن تكون النفوس الحاقدة امة، مهما كثرت

● تعجبني جدا اغنية تقول كلماتها، «بلادي عربية.. مليانة حرية».. بلى، بلى. فالانسان في هذا الوطن.. كالطير في السماء.. الفضاء ملكه، الاشجار كلها بيوته.. وكما يحلق الطير حراً طليقا في الفضاء.. كذلك العربي.. يتجول بين الاقطار الشقيقة، لا يطلب اذنا من السلطان، ولا نقاط حدود.. فأرض العرب للعرب.. وهل في الفضاء حدود؟

كالبحر هذا الوطن العربي.. وكالاسماك شعوبه.. يسبحون بحرية الى كل الجهات لكنهم لا يأكلون بعضهم بعضا!! ولماذا لا يأكلون بعضهم بعضا؟ لانهم اشقاء. وهل يأكل الشقيق لحم شقيقه؟

ثم اكلت الغيرة اوروبا، فراحت تمحو عداء القرون الذي اسقط عشرات الملايين من القتلى.. واخذت الشعوب المتحاربة سابقا بقذف احقادها الى شبكة المجاري، سوق واحدة، برلمان واحد.. وحدة نقدية اوروبية.. وتكاد تقول انهم «بالضبط كالعرب»؟!!

فالعراقي، يمكنه ان يحلم بزيارة غوطة دمشق.. ولن يعاقبه احد.. ان حافظ على سر الحلم! والسوري، قادر على «وشوشة» زوجته ومصارحتها بأنه يعشق نهر دجلة، شرط ان يلاطف زوجته جيدا بعد ذلك..

والسوق العربية المشتركة.. اصبحت نموذجا يقلده الاوروبيون، وخاصة تجارة التمر.. فان التمر العراقي لولا صدام حسين، لسُمح له بغزو السوق العربية.. كالتمر الشقيق من اسرائيل.. وبالضبط مثل التمر الاسرائيلي.

حتى البضائع الليبية، ستعامل باحترام كالاسرائيلية، بعد ان القذافي يعطل هذه الغاية.. والحسين لا يكره الفهد والاسد وصدام و.. الفهد لا يحقد على عرفات وحسين و... الكل هنا اشقاء.. تاريخ واحد، لغة واحدة.. قطعة ارض واحدة.. واقع واحد حتى المشاعر واحدة! ارأيتم امة تحمل نفس المشاعر؟ فالكل هنا يكرهون القادة سرا ويحبونهم علنا.. وكل الرؤساء هنا يعشقون الشعب علنا ويخافون منه سرا..

وهنا، في الوطن العربي، يستحق وسام الوطنية كل من لا يخون وطنه ولا يفكر بخيانته.. وان وجدنا كهذا.. فالوطن سيكون في غد بخير. لماذا لا يكره الشعب الوطن؟ فالحاكم يمارس هواية قهر المواطن؛ ولماذا لا يحقد الحاكم على الشعب؟ فالشعب يمارس هواية التحول والتكاثر وافشال الخطط الاقتصادية للحاكم..

وشعوب الوطن.. او امة الوطن.. تعيش باطمئنان مع اكاذيبها. والشعب كالحاكم، ولكل حادثة حديث.. والمنطق سائب بأكل الزرع الحرام والحلال بمنطق، ولا بحسب القارئ، ان جنسيته الاسرائيلية تجعله في مقدمة عربية راقية.. فنحن كغيرنا من هذه الامة السائبة التي لا تدرك اين هي، ولا تعرف الى اي محطة يسير بها القطار الذي تسافر فيه..واصبحت بعض اوروبا دولة.. وما هي الا سنوات حتى تصبح كل اوروبا دولة واحدة.. فآه، ثم آخ!! وبالطبع لا يغبطني هذا الانتماء الاوروبي الواحد، بل يغبطني ان تستمر الاذاعات العربية بتسمية الدول العربية الاخرى بلفظة «الشقيقة»!!

اما دول جنوب شرق آسيا.. فهي ايضا تسعى جميعا لتصبح كيانا اقتصاديا موحدا رغم كل الفوارق التاريخية واللغوية والدينية.. لكنها، تسعى الى وحدة اقتصادية، للصمود في عالم يحقق الفوز به الناجحون اقتصاديا.

حتى امريكا الجنوبية، والتي كانت قبل سنوات «مثلنا»، اخذت طريقها نحو تشكيل قوة اقتصادية.. واغرت الولايات المتحدة من امريكا الشمالية على الانضمام الى هذه الوحدة الاقتصادية.

كل الشعوب ادركت مصالحها، وراح كل شعب يبحث عن كتلة متجانسة ينتمي اليها ويشارك فيها، حتى يوفر لنفسه كرامة العيش، ولاجياله القادمة مزيدا من السعادة..

وهذا الوطن العربي، يملك اكبر مساحة ارض كأمة، يملك نفطا تحت الارض وانهارا فوقها.. ويملك حقدا كافيا لحرق النفط سدى، واطلاق سراح المياه لتجري نحو البحار المالحة تاركة خلفها ارضا عطشى..

جرثومة في الوطن العربي تصيب الانسان فيصبح حاقدا.. وعدوا للتسامح وناكرا للجميل، وفي كل مكان مثال للحقد الذي يأكل هذه الامة، فدول الخليج العربي انكرت دور العراق في ردع الاكتساح الفارسي للعرب، فحقد العراق وحرق الكويت فحقدت دول الخليج ودمرت العراق، والنتائج انهيار اقتصاد العراق ودول الخليج.. والحقد بين شطري اليمن، وحقد المعارضة الاصولية الجزائرية، فانها تعمل على هدم الجزائر نكاية بالحاكم.. والحاكم يتمسك بالسلطة الى آخر جزائري. وفي مصر، يود الاصوليون لو استطاعوا تفجير الاهرام، ومعابد الاقصر والسد العالي.. حتى يستسلم الحاكم..

ونحن هنا في اسرائيل، واقصد العرب لا تختلف في المشاعر والاحقاد.. لماذا ابيح مرشح ما في انتخابات السلطة المحلية.. فان الطرف الخاسر لا يتقبل النتائج اولا، فأما ان يفتعل «طوشة» او يكتم غيظه، اما الرئيس المنتخب، فيواصل لعبة المشاعر والاحقاد..

(البقية ص١٦)

● مرزوق حلبي ●

بين الاقوى والافضل!

● من المفترض ان يصدر، اليوم الجمعة، العدد الاخير من صحيفة «عل همشمار» بعد ان قرر مجلس ادارتها ومالكها - «الكيبوتس القطري» - التوقف عن اصدارها بسبب من غياب مصادر التمويل وتراكم العجز المالي. وتنطوي بهذا الغياب صفحة صحيفة اخرى في البلاد، وليس لانها رديئة وصفراء، وهابطة، بل لان الضائقة المالية امست انشوطة تشد على عنقها فوق طاقتها على الاحتمال. وغياب «عل همشمار»، اذا ما حصل، يذكرنا بغياب «حدشوت» و«ششي» و«كوتيرت رشيت» و«هعولام هزيه» في صيغتها الاصلية، وربما يؤشر على غياب «دفار» التي تتخبط في ازمة مالية وديون متراكمة تهدد بوضع فصل الخاتمة لمشوارها. وعليه، فان هذا الغياب يندرج في اطار ظاهرة تعتري الصحافة الاسرائيلية المكتوبة في العقد الاخير. وهي تعكس تحولات عميقة في البنية الاقتصادية الاجتماعية الفكرية للمجتمع الاسرائيلي.

وبامكاننا ان ننظر الى هذا الغياب من عدة زوايا. فهي من منظار صحفي خسارة فادحة. فقد خسر المجتمع منبرا من منابره وقناة اتصال فيما بينه وفكرا وآراء كانت تظهر على صفحاتها. واذا خضنا الموضوع من الزاوية النقابية لرأينا في تسريح عشرات الصحفيين من وظائفهم مأساة. وكون «عل همشمار» صحيفة ناطقة بلسان حزب وايديولوجيا - «اشتراكية واخوة الشعوب» - فان رحيلها قد يفسّر على انه انحسار لهذا الحزب والفّول لهذه الايديولوجيا. وفي هذا التفسير كثير من الحقيقة وكثير من الاسى، ايضا!

ومما لا شك فيه ان غياب صحيفة، ولا يهم السبب، انحسار في مساحة الدمقراطية. ويبدو لنا صحيحا هنا، مع غياب «عل همشمار» التي عبّرت عبر عشرات السنين عن فكرة ورؤيا وعقيدة وايديولوجيا. فالدمقراطيات الحديثة (السويد او فرنسا مثلا) توفر لمثل هذه الصحف فرصة الوجود عبر الاسهام في تمويلها. فالنموذج الفرنسي في هذا المجال يشير الى ان الدولة تعمد الى سبسدة الصحف غير الشعبية التي تعبر عن افكار وتوجه فكري لا يحظى بالدعم الجماهيري. وهكذا يحدث في السويد من منطلق اهلية هذه الصحف وجدارتها بالحياة لضمان اوسع فسحة ممكنة لتعددية الآراء في المجتمع، باعتبار هذه التعددية شرطا ضروريا لحصول المشهد الدمقراطي. الا ان قانون اللعبة في اسرائيل مختلف جدا وهو مستمد من النموذج الامريكي القائل باخضاع كل نشاط اجتماعي لقانون السوق، العرض والطلب.واثبتت التجربة ان مثل هذا القانون/ الفلسفة لا يضمن الحرية للجميع بقدر ما ينتج داروينية اجتماعية اقتصادية يكون فيها البقاء للاقوى وليس للافضل بالضرورة!

ومن المعروف ان التيارات الاقتصادية الاجتماعية النافذة في الحياة الاسرائيلية تعوّل منذ السبعينيات على النموذج الامريكي في بلورة الحياة الثقافية العامة في البلاد. وليس غريبا ان ينحو الاقتصاد الاسرائيلي خلال العقد الاخير نحو خصخصة كل انشطته عموديا وافقيا. وليس صدفة اذن ان تضرب فكرة الداروينية الاجتماعية اطنابها هنا. وان يخضع الانتاج الثقافي لقانون السوق. فنسمع من الفنانين «هذا ما يريد الجمهور سماعه»، ونسمع من الادباء «هذا ما يريد الجمهور قراءته»، ونسمع من محرري الصحف «هذا ما يريد القراء رؤيته على صفحات الصحف»! وقائمة هذه المقولات طويلة. وبين هذه المقولات وهبوط الثقافة وضحالتها مسافة الرعد عن دويّها وبين ما يستورده المجتمع الاسرائيلي من المجتمع الامريكي المقولات عن انتهاء عصر الايديولوجيات واختفاء الاحزاب. والحقيقة انه لم يستورد المقولات، بل استورد النموذج الاقتصادي الذي يولّدها وينتجها. والغريب ان القوى السياسية كافة - عدا الحزب الشيوعي الاسرائيلي، و«مبام» - تتبنى الآن فلسفة الليبرالية الاقتصادية القائمة على الغاء اي تدخل للحكومة في النشاط الاقتصادي واطلاق حركة السوق الحرة بأقصى سرعة ممكنة! وملفت للانتباه هذا التهافت لدى غالبية القوى السياسية على فكرة الخصخصة! ربما كانت مدفوعة بفشل النموذج السوفييتي من الاشتراكية ومفاهيمها، لكنها بالضرورة ستلقي نفسها في اتون قانون السوق.. وها هي «عل همشمار» ضحية مناوبة فقط وستتلوها ضحايا. ولا ادري اي عدل هذا ان تغيب «عل همشمار» وتبقى «معريف» او «يديعوت احرونوت». يبدو ان «الاقوى» في هذا النظام الاقتصادي الثقافي هو «الافضل»، ايضا!

○ د. احمد سعد ○

لن يصبح الزوان قمحا!

□ معالم الصراع السياسي استعدادا لانتخابات الكنيست المقبلة تتخذ طابعا مميزا يفرضه مسار التطور منذ توقيع اتفاقات اوسلو. ومن ابرز معالم هذا الطابع مؤشرات الفرز والمخاض واعادة ترتيب القوى على الخارطة السياسية وداخل الاحزاب السياسية لمواجهة متطلبات الموقف من هوية التسوية السلمية المنشودة وطابع وحدود الحل السياسي لقضية الشعب الفلسطيني وحقوقه القومية المشروعة.

فالقضية المركزية الاولى المطروحة على بساط الصراع بين مختلف التيارات السياسية والحزبية استعدادا للمعركة الانتخابية البرلمانية المقبلة في العام القادم لا تزال ايضا قضية الموقف من حقوق الشعب العربي الفلسطيني وطابع التسوية السلمية.

ولا تعيش الجماهير العربية الفلسطينية في اسرائيل في غربة عن هذا الصراع. فللصوت العربي وزنه النوعي الهام في الانتخابات السياسية المقبلة، ونسبة ١٨٪ (نسبة الاصوات العربية من مجمل الاصوات الانتخابية) تستطيع ان تكون لسان الميزان في اقرار من يكون رئيس الحكومة في الانتخابات المباشرة المقبلة ومن يتسلم زمام السلطة في هذه الظروف المصيرية من المعركة لبلورة هوية التطور نحو السلام العادل ام نحو الدمار الشامل.

ولهذا، نشاهد على الساحة السياسية والنشاط السياسي بين الجماهير العربية تصعيدا للصراع لبلورة الهوية المستقبلية لهذه الجماهير وحقيقة الدور والموقع الذي من الممكن ان تشغلهما في صياغة هوية التطور في المجتمع الاسرائيلي وفي المعركة المصيرية من اجل السلام وانجاز الحقوق القومية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني.

ولن اتطرق في هذه المعالجة السريعة الى معالم الفرازات الخارطة السياسية بين الجماهير العربية ومدلولاتها السياسية. وسأقتصر بالتركيز على تيار «التهجين والتدجين» الذي يعمل على استثمار مظاهر العملية السلمية وما يرافقها من تطورات ودفعها الى حظيرة تأييد الاحزاب الصهيونية. ونقصد بهذا التيار الاحزاب الصهيونية ودعاتها من العرب بين العرب، وخاصة حزب «العمل» ومجمع «ميرتس». ويعمل هذا التيار دياغوغيا على «ادلجة» توجهه السياسي للعرب من خلال طرح بعض المنطلقات والفرضيات «النظرية» لتدجين العرب في اطار الدعم والتأييد لحزب «العمل» و «ميرتس». كرديف ومخزن احتياطي لجرف الاصوات. ويلجأ هذان الاطاران الى تشويه حقيقة موقفهما من القضيتين المركزيتين اللتين تشغلان اهتمام الجماهير العربية وترتبطان عضويا من حيث الجوهر والابعاد. الموقف من الحق الفلسطيني المشروع، والموقف من قضية المساواة للجماهير العربية.

ففي القضية الاولى يلجأ «العمل» و «ميرتس» ودعاتهما بين العرب الى سياسة خلط الاوراق عن طريق ابراز التناقض في الموقف من التسوية السلمية بين حزبيهما واحزاب التكتل وغيره من قوى اليمين وطمس الفوارق الجذرية والتناقض في موقفهما مع الحل العادل، الشامل والثابت الذي يتبناه الحزب الشيوعي والجبهة. فنحن لا ننكر الفوارق بين موقف «ارض اسرائيل الكبرى» الذي تتبناه قوى اليمين المناقض لاية تسوية سلمية، وبين موقف «ميني ارض اسرائيل الكبرى» الذي يتبناه «العمل» و «ميرتس»، ويعني ضم القدس الشرقية وقسم من المستوطنات الكولونيالية وحرمان اللاجئين الفلسطينيين من الحق الشرعي بالعودة. فهذا الموقف يهدد ايضا بعدم التوصل الى تسوية سلمية عادلة. وشتان بين هذا الموقف وموقف الحزب الشيوعي والجبهة الذي يناضل من اجل اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية وحق اللاجئين بالعودة كشرط اساس لبناء قواعد السلام العادل. فديماغوغية التأكيد، خاصة من دعاة احزاب الصهيونية العرب هي ان حكومة رابين تخطو نحو السلام العادل، وان موقف الشيوعيين فقد خصوصيته التاريخية.

اما بالنسبة للموقف من المساواة والتعايش والدمج فان دعاة الاحزاب الصهيونية «والمنظرين الجدد» في «ميرتس» ممن غيروا هويتهم الفكرية والسياسية في سراب الركض وراء المصلحة الذاتية، يطرحون الفرضيات النظرية للتطبيع الكولونيالي، وذلك بالتركيز على بعض جوانب المساواة المدنية في ظل «الانفتاح والتطبيع الاسرائيلي - العربي»، ومن خلال طمس حق الجماهير العربية بالمساواة القومية كأقلية قومية لها حقها بالمساواة في مختلف نواحي الحياة وصياغة القرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي. فلا مساواة حقيقية في المجال المدني - المطلبي اذا لم تبن قواعد المساواة في الحقوق القومية. «ونشفق» على اولئك المنظرين، الذين يعملون جاهدين، ومن خلال مساعيهم لتسويق انفسهم امام اسيادهم «كاكفاء» لكرسي الكنيست وابتداع فرضيات نظرية - سياسية لتضليل الجماهير العربية وحرفها عن نهجها الكفاحي وتزوير هويتها الوطنية وتدجينها في حظيرة اللا مساواة وفي المدرج الهامشي لمسار التطور. ونحن، لنا كل الثقة بان الزوان لن يصبح قمحا ابدا. وشعبنا يفرق بين زوان البيدر الوطني وبين قمحه المبارك.

○ بشير البرغوثي ○

قرارات اللجنة التنفيذية... الى أين؟!

● نتمنى ان لا يكون مصير اجتماع اللجنة التنفيذية الأخير في تونس مثل سابقاته. وأن لا تضاف قراراته الى ما سبق واتخذ من قرارات وصفت جميعها بالانسجام مع قرارات المجلس الوطني الفلسطيني والمجلس المركزي ومع وثيقة الاستقلال.

ولكن هناك ظواهر تثير الخشية من ان ذلك الاجتماع سينضم بقراراته الى سابقاته. لقد اسدل الستار على القرارات ولم تشكل اللجنة التنفيذية اية آلية لتنفيذها. وعاد كل شيء الى سيرته الاولى وكأن اجتماعا لم يعقد وقرارات لم تتخذ!

والحكومة الاسرائيلية التي ترقب هذا الوضع لم تجد في اجتماع اللجنة التنفيذية وقراراته بعد ان لاحظت لا مبالاة الجانب الفلسطيني تجاهها ما يستحق التوقف عنده او حتى التعليق عليه.

والان تحركت اللجنة التنفيذية بعد طول سبات. وأصدرت بيانا وصفت فيه الداء دون الدواء فهي تجد نفسها امام المحك فاما ان تنهض بمسؤولياتها واما ان تدخل في سجل الماضي. وما نظن احدا سيظل ينظر اليها، مثلما كان ينظر اليها من قبل، هيئة قيادية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ولما كانت باقي الهيئات معطلة مثل المجلسين المركزي والوطني فان مستقبل المنظمة نفسها بات موضع تساؤل والشعب الفلسطيني يرى ان ممثله الشرعي الوحيد يخلي مكانه لسلطة تقوم على بعض اجزاء غزة واريحا وتصارع من أجل ثبات موجوديتها هناك.

ليس هذا هو المصير الذي تريده الاغلبية الساحقة من الشعب الفلسطيني لمنظمته وممثله الشرعي الوحيد. ولا احد يراهن على ان تنهض اللجنة التنفيذية بمسؤولياتها. فبعد القرارات الايجابية التي اتخذتها فيما يتعلق بتأكيد دورها، وموقفها من المفاوضات والسلطة اسدل الستار تماما على ذلك الاجتماع وبدا للمواطنين ان اللجنة التنفيذية في واد والسلطة في واد آخر!

لقد قيل لنا عند توقيع الاتفاقيات مع اسرائيل ان الامور ستتطور الى الأفضل، وان الثغرات الموجودة فيها ستغلق من خلال بناء الثقة والاطمئنان الى النوايا. وما نشاهده ونلمسه يناقض ما اعطي من تطمينات. فالشكوك قد زادت والنوايا قد وضحت. وصار معروفا ان الحكومة الاسرائيلية قبلت باعلان المبادئ، لتتسلم من خلاله مفتاح الدخول الى الشرق الاوسط. فكان التراجع عن تلك المبادئ في اتفاق القاهرة. ثم كان التراجع الماثل امامنا حتى عن اتفاق القاهرة. بينما يتم التقدم على ساحة العلاقات العربية الاسرائيلية.

ان تعليق المفاوضات، واتخاذ موقف جريء وحاسم تجاه المخالفات الاسرائيلية، ومطالبة الجانب الاسرائيلي بالتوقف عن الاستيطان والغاء اجراءات الاغلاق، وتنفيذ التزاماته في الاتفاقيات، ليست مواقف سلبية، كما يشيع البعض، بل هي مواقف تفاوضية نشطة اذا ما نظر اليها كجزء من العملية التفاوضية العامة والمسيرة السلمية بشكل عام.

وهذا التعليق من شأنه ان يشكل ضغطا لصالحنا بادخاله العالمين العربي والدولي في العملية التفاوضية باخراجها من حصار وايرز.

ومن الخطأ الافتراض ان تعليق المفاوضات سيجعل القطار يفوتنا. فهناك من القضايا التي لا يمكن حلها بدون الجانب الفلسطيني كموضوع اللاجئين والنازحين والقدس. وهي قضايا بدون حلها حلا عادلا لا يمكن ان تستقيم العلاقات العربية الاسرائيلية.

ان هناك مصلحة استراتيجية امريكية في تحقيق تسوية بين سوريا واسرائيل، وبدون مثل هذه التسوية من الصعب التفكير في سلام دائم في منطقة الشرق الاوسط. ومن جهة اخرى من الصعب الاعتقاد بان سوريا ستوقع على تسوية كهذه والقضية الفلسطينية معلقة بدون حل عادل.

ومن هنا فان التعليق الفلسطيني للمفاوضات من شأنه ان يحفز الاطراف الدولية المعنية بحل النزاع في منطقة الشرق الاوسط الى المساهمة في معالجة الخلافات القائمة بين السلطة الفلسطينية وحكومة اسرائيل، بل ويدفعها الى تبني وجهة النظر المطالبة بحل شامل للقضية الفلسطينية وليس بحل على القساط.

○ علي عاشور ○

لماذا انا متفائل؟

■ هذا الاسبوع قال لي صديق: «الناس في بلدنا، مسروورن من كتاباتك» واضاف بسرعة: «ولكنك متفائل كثيرا»!

فأجبته: انا دائما متفائل. ولولا فسحة الامل ما بقي احد يناضل!

لقد عشت في اسرائيل منذ قيامها تقريبا. وعانيت مع من تبقى فيها من شعبنا العربي الفلسطيني اشد المعاناة. ومع ذلك لم افقد الامل في حياة افضل، فمنذ البداية رفع حزبنا الشيوعي الاسرائيلي - شعار: «ان بالامكان تغيير الحال الى احسن منها مهما كانت الظروف والاحوال».

وها نحن اليوم - بعد حوالي ٤٧ عاما على قيام الدولة - وعلى الرغم من اننا لا نزال مواطنين من الدرجة الثانية ولا نزال نعاني من سياسة التمييز وعدم المساواة - في حال هي احسن بكثير من الحال التي كنا عليها عند قيام الدولة. ولا احد بامكانه ان ينكر اننا حققنا خلال عشرات السنين الماضية الكثير من الانجازات. واننا في الطريق نحو تحقيق المزيد والمزيد من الانجازات. وذلك كله بفضل تفاؤلنا وبفضل تضحياتنا وصمودنا في وطننا.

ويكفينا فخرا ان هاماتنا بقيت دائما مرفوعة، لم تنحن ابدا، رغم شدة الظلم والاضطهاد، الا لله سبحانه وتعالى.

وها هم اخوتنا في الضفة الغربية وقطاع غزة متفائلون، مثلنا، رغم كل شيء. يسيرون، ولو بخطى بطيئة، نحو غايتهم المنشودة وهي العيش بحرية وكرامة على ترابهم الوطني.

ولانهم متفائلون، فهم يفتحون اعينهم على النور القادم من بعيد - من آخر النفق المظلم الطويل وليس فقط على ظلام النفق الدامس.

ولانهم متفائلون فهم يرون ان «اتفاق اوسلو» حقق لهم الكثير من المكاسب.

صحيح ان اسرائيل ترفض الأن اقامة الدولة الفلسطينية وانها انفتحت على العالم العربي حتى قبل التوصل الى السلام الشامل في المنطقة.

وصحيح انه لا يزال هناك ٧ آلاف اسير في السجون والمعتقلات.

وصحيح ان خيرة المقاتلين الفلسطينيين يتعرضون للاغتيال وان عملاء الاحتلال لا يزالون يعملون ضد شعبهم وان المواطنين الفلسطينيين - حتى المسؤولين منهم - يلاقون المعاناة اليومية على الحواجز العسكرية، وان الحصار الاقتصادي مفروض على الضفة الغربية وقطاع غزة وان اكثرية العمال الفلسطينيين محرومون من العمل داخل اسرائيل.

كل هذا، وغيره من الامور السلبية، صحيح.

ولكن.. صحيح ايضا ان «اتفاق اوسلو» حقق للفلسطينيين اعتراف اسرائيل (زائد الاجماع العالمي)، لاول مرة منذ قيامها، بوجود الشعب العربي الفلسطيني وبحقوقه الوطنية المشروعة وبمنظمة التحرير الفلسطينية، بوصفها الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني وبقراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨.

لقد اوقف «اتفاق اوسلو»، الزحف الاستيطاني (علما بأن اسرائيل وسّعت من وراء ظهر «اتفاق اوسلو»، وما يشبه السرقة، البناء الاستيطاني سواء في القدس او في المستوطنات) وبموجب «اتفاق اوسلو» وافقت اسرائيل على اعادة لاجئي ١٩٦٧ وعلى البحث في مسألة اعادة لاجئي ١٩٤٨. وانسحبت من قطاع غزة واريحا. وعاد حتى الآن خمسون الف فلسطيني منهم ١٨ الف مقاتل. ويرفرف العلم الفلسطيني الآن على ربوع الوطن. والقيادة الفلسطينية موجودة على الارض الفلسطينية.

وبموجب «اتفاق اوسلو» وعدت الدول المانحة بمنح السلطة الوطنية الفلسطينية مبلغ مليار دولار، وبدأت، ولو ببطء في تنفيذ وعدها.

حتى وزير البيئة سريد قال ان الشعب الاسرائيلي يعرف قبل قيادته بأن الدولة الفلسطينية ستقوم لا محالة.

ومؤخرا اعلن عن حصول تقدم في المفاوضات الفلسطينية - الاسرائيلية بشأن الانتخابات.

وذكرت مصادر صحفية اسرائيلية ان قسم التخطيط في هيئة اركان الجيش اعدّ مخططا مفصلا لانسحاب الجيش من المراكز السكانية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة واعادة الانتشار خارج هذه المدن. واضافت ان النية تتجه نحو انسحاب الجيش من سبع مدن وان ذلك سيتم تدريجيا ومن خلال نقل الصلاحيات للفلسطينيين بما في ذلك صلاحيات بخصوص ضمان الامن العام والنظام الداخلي.

ووفقا للمخطط سيتم الانسحاب، في المرحلة الاولى، من مدينة جنين. اما الانسحاب من بيت لحم ورام الله فسيتم فقط في المرحلة النهائية.

اما بخصوص الخليل فلم يتخذ، حتى الآن، اي قرار نهائي فيما يتعلق بطابع التسوية في المدينة وذلك بسبب وجود مستوطنين في قلبها.

ان اهم ما في «اتفاق اوسلو» - وهو الدافع الاساس لكل تفاؤل - هو ان هذا الاتفاق وضع الطرفين - الاسرائيلي والفلسطيني - لاول مرة في

(البقية ص١٦)



الانسان بحاجة الى اكبر قدر من الحركة

* قلة الحركة تضعف كافة أجهزة الجسم، بما فيها الجهاز العصبي * كل انسان يستطيع اختيار التمارين الملائمة له.. لكنّ المشي يبقى افضلها *

● «ان مشي عشرة آلاف خطوة في اليوم يكفي لضمان صحة جيدة. وهي الحد الأدنى من النشاط الحركي لكل انسان سليم. فكل منا يريد التمتع بصحة جيدة، لكننا من ناحية اخرى لا نفعل الحد الأدنى من الاهتمام لتحقيق ذلك».

بهذه الكلمات لخّص البروفيسور يفغيني كوفالينكو مقابلته حول الطب الفضائي كوسيلة لمعالجة الأمراض.

والبروفيسور يفغيني خبير معروف في مجالي البيولوجيا والطب الفضائيين وشارك شخصيا في الضمان العلمي للعديد من الرحلات الفضائية بما في ذلك الرحلة الفضائية الاولى التي انجزها يوري غاغارين.

ويبدأ حديثه عن الفرق بين الطب الفضائي والطب العادي فيقول: «غالبا ما تكون مهمة الطب العادي دراسة انواع الامراض وايجاد طرق علاجها والوقاية منها. بينما الطب الفضائي تضم دائرة دراساته اناسا جيدي الصحة بالمعنى الواسع للكلمة. بالاضافة الى انه يعمل بالتنبؤ طويل الأجل لحالة الانسان الصحية.



فنتيجة الاختبارات والتجارب ان الطبيعة منحت الانسان السليم نطاقا واسعا من الامكانيات للصمود في شتى انواع الاجهادات والضائقات، التي لا تقل عنها في الرحلات الفضائية. وهذه الأخيرة ما يميزها انها تحقق المزيد من المكاسب للناس على الأرض ومحاولة اقناع الانسان بتفادي الأمراض. وباعتقادي فان سر الحفاظ على الصحة بسيط جدا. ويكمن في اتباع اكبر قدر ممكن من الحركة كشرط اساسي للاحتفاظ بجميع دورات واجهزة الجسم الحيوية. هذا الأمر الذي لا نلمسه في حاضرنا المعتمد على قلة الحركة».

ويعطي البروفيسور امثلة على ما تسببه قلة الحركة من رواسب وسلبيات على صحة الانسان ويذكر ان: «العلماء اجروا تجارب خاصة بالموضوع شارك فيها متطوعون قضوا حوالي (٧٠) يوما دون حركة. فاتضح ان ذلك سبب تغيرات ملموسة في الجسم. واختلت عمليات الاكسدة في الجسم. وارتفعت نسبة الكوليسترول في الدم والذي يؤدي الى تسريع وتطور التصلب التعقدي لاوعية الدماغ والقلب.... الخ. كذلك تقلص الاوعية الشعرية في عضلة القلب والعضلات الهيكلية التي تؤدي في النهاية الى عدم قدرة الانسان على مزاولة حتى جهد بدني بسيط يحتاج الى زيادة مدى تزويد العضلات بالدم والاوكسجين».

ويتابع: «هذا وتسبب قلة الحركة تغيرات حادة في العظام التي تفقد صلابتها بسبب فقدان مادة الكالسيوم الذي ينتقل من نسيج العظم الى الدم، الأمر الذي يؤدي فيما بعد الى نقصانه (الكالسيوم) في انسجة الاسنان وبالتالي الى تسوسها وخللها. ونظرا لزيادة الكالسيوم في الدم يأخذ بالترسب على سطح الاوعية الداخلي وتصبح هشة. اضافة الى ارتفاع القابلية للتجلط واحتمالات انسداد الاوعية.. وابطاء عمليات الطاقة في مختلف خلايا الجسم. كما اكتشف العلماء الذين يدرسون تأثير قلة النشاط الحركي في جسم الانسان خاصية اخرى هامة وهي ان عضلات الجسم تساعد عند انقباضها على تمرير الدم من الاوعية الشعرية الى الأوردة. اي ان كل عضلة تعتبر نوعا «لقلب» مساعد ويزيد عددها عن (٦٠٠) وحدة في الجسم. وتقدم مساعدة ملموسة في ضخ الدم».

وفضلا عن ذلك أظهرت المشاهدات الطبية ان قلة النشاط الحركي تضعف مقاومة جسم الانسان لمختلف الأمراض بما في ذلك الأمراض المعدية.

ويؤكد البروفيسور كوفالينكو ان قلة النشاط الحركي تؤثر ايضا على الجهاز العصبي وتضعف وظيفته. وتزداد بحدة قابلية التعب والتهيج وتسوء الذاكرة والقدرة على التفكير المنطقي ويطرأ اختلال في عادات النوم».

وفي النهاية يوصي باتباع التمارين الرياضية وممارسة التمارين الحركية: «فكل واحد يستطيع اختيار التمارين الملائمة له. وانا لا يمكنني الا ان اعطي توصيات عامة فقط. وهي بعدم اهمال التمارين البدنية الصباحية وتمارين الاستجمام في اثناء الدوام. كالتخلي عن المصعد، على الأقل عند النزول. لكن يبقى المشي هو الأهم كما يؤكد الاخصائيون ايضا».

ابتكار روسي:

جهاز جديد يشخص بالصوت حالة الجنين قبل ولادته

● ابتكر البروفيسور الروسي نيقولاي بيليبينكو جهازا خاصا لتشخيص حالة الجنين في بطن أمه وغير مضر بصحة الأم الحامل وجنينها.

اما مبدأ عمله فيعتبر بسيطا جدا. اذ يتم وضعه على بطن الام الحامل، فيقوم بتسجيل صوت انقباض قلب الأم وقلب الجنين ثم يحوّل النبضات الى ذبذبات كهربائية ترتسم على شاشة الكمبيوتر على شكل مخططي القلبين.

ويقول البروفيسور نيقولاي انه بفضل هذا الجهاز نستطيع ان نتابع باهتمام التطور التدريجي لمنظومة «الأم - الجنين» الحية. وان نراقب كليهما في جميع مراحل الحمل ومساعدتهما فورا في حالة حدوث اختلال ما. كما ان الأم تستطيع ان تطمئن على صحة الجنين من خلال الفحص بالجهاز الجديد وتستطيع ان تعرف حركته وما اذا كان حزينا او سعيدا وما هو طابعه. كل هذا قبل ولادته بفترة طويلة».

اما مدة الفحص بالجهاز فلا تزيد عن عشر دقائق.

* الجنين في مراحله الاولية *

* يقوّي الحواس ويهدىء آلام المعدة وحالات التهاب المفاصل * يحسن مذاق الطعام ومنظره *

● «الزعفران» او «السعفران» ثمرة نبات ذي لبّ يشبه بعض انواع النباتات السامة التي تظهر في البراري مع قدوم فصل الخريف. الحصول على بذور الزعفران ليس بالأمر السهل. فمئة زهرة منه تساوي غراما واحدا من حبوبه الجافة.

استعمالاته كثيرة ومختلفة. ففي البلاد المحيطة بالبحر المتوسط، يستعمل باضافته للطعام لتحسين طعمه ولاعطائه منظرا جميلا. كما انه يسهّل هضم الأطعمة.

كذلك يستعمل مغلي الزعفران في تهدئة آلام المعدة. وخارجيا يستعمل في التدليك في حالات التهاب المفاصل.

● أكدت الأبحاث العلمية ان التمر يحتوي على أغلب العناصر الغذائية التي يحتاجها الجسم.

وأضافت الدراسات التحليلية ان التمر يحتوي على مواد سكرية تعوض الطاقة المفقودة في اثناء العمل الشاق. كما انه يحتوي على فيتامينات عديدة منها A.B.C. وعلى بعض البروتينات. اما افضل انواع التمر فهو شديد الحلاوة.

كذلك فان احتواءه على الانزيمات يساعد على عملية الهضم وبعض الهورمونات التي يحتاجها الجسم. كما ان احتواءه على نسبة كبيرة من فيتامين A له تأثير على حدة البصر.

● جهاز «لي.. شي.. تشن» العلاجي، فاز مؤخرا بالميدالية الذهبية في معرض التكنولوجيا الطبية الجديدة الدولي في ماليزيا.

ويجمع الجهاز بين التدليك بما يشبه القطعة النقدية وازرار مبللة بالماء او بالزيت النباتي والعلاج بكؤوس الهواء والتدليك العام. ويعمل على حفز القنوات الحيوية في الجسم والنقاط الوخزية لدفع الدورة الدموية وزيادة قدرة الوقاية الذاتية من الأمراض ووظائف المناعة.

ويمتاز الجهاز بفعالية علاجية في علاج تعب العضلات وألم الظهر والرقبة والزكام وآلام الساقين، بدلا من تعاطي الادوية. ولا يترك أثرا على الجلد خاصة بالنسبة للمصابين بالحساسية والنساء الحوامل.

حتى العام ١٩٩٦

سد النقص في مادة اليود في الصين بواسطة انتاج ملح مشرّب بهذه المادة

● لسد النقص في مادة اليود الحيوية للجسم والتي يعاني من نقصها الاطفال في الصين وضعت الصين برنامجا لانتاج المزيد من الملح المشرب باليود كمحاولة للقضاء على انتشار الامراض الناجمة عن نقص اليود.

وتقدر تكاليف المشروع بمليار «يوان». ومن المتوقع ان يتم انتاج كميات كافية من الملح المشرّب باليود لجميع المواطنين وذلك حتى العام ١٩٩٦. ويشمل البرنامج تجديد جميع المصانع المنتجة للملح وعددها (١٢٣١) في غضون العامين المقبلين حتى يصل معدل الاستهلاك السنوي من الملح المشرّب باليود في الصين الى ثمانية ملايين طن.

معرض خاص لأشغال يدوية من «الديكوباج» والتطريز

* صاحبة المعرض، أنييس زعاترة - كردوش: مشكلة النساء اللواتي يمارسن هذا الفن تكمن في ان المجال غير مفتوح امامهن للعمل في مؤسسات او مدارس *

* السيدة انييس زعاترة - كردوش في احد جوانب المعرض *

● يأخذ موضوع فن الأشغال اليدوية، بأنواعه المختلفة، اهتماما كبيرا بين اوساط واسعة من النساء اللواتي يرغبن في هذا النوع من الفن. وعلى مدار هذا الشهر اقيم معرض خاص في المعهد الثقافي الفرنسي في الناصرة، للسيدة أنييس زعاترة - كردوش (٤٢ عاما) اشتمل على انواع مختلفة من الأشغال.

وتقول السيدة كردوش ان هذه الاشغال، التي تشمل «الديكوباج»، والتطريز بانواعهما المختلفة، البرازيلي والفلسطيني والاسترالي، هي عبارة عن فن وبحاجة الى دورات خاصة لاكتساب طريقة العمل الناجحة.

وتضيف: «بدأت باكتساب هذا النوع من الفن منذ ايام المدرسة الثانوية، حيث كان هناك اهتمام كبير بموضوع الاشغال والتطريز. ولرغبتي الكبيرة بهذا الموضوع شاركت فيما بعد في دورات عديدة تابعة لمنظمة «فيتسو». واليوم اتلقى الدورات في العفولة ونتسيرت عيليت».

وتقول السيدة كردوش: ان هناك مشكلة لعدد كبير من النساء اللواتي يعملن في هذه المهنة، اذ ان المجال غير مفتوح أمامهن للعمل في مؤسسات او مدارس. وتقول: «لقد سبق وعملت ثلاث سنوات في اماكن عمل رسمية ولكن لأسباب خاصة تركت العمل. واليوم أمارس عملي هذا في البيت وأعرض أعمالي في مناسبات مختلفة. والحقيقة ان هناك اقبالا من عدد كبير من المواطنين لشراء هذا النوع من الأشغال الذي يعكس نوعا من الابداع والفن. ولكن يبقى النقص في اهتمام المسؤولين باقامة المعارض الثابتة والدورات المكثفة لفتح المجال امام اكبر عدد من النساء والفتيات للعمل في المجال الذي يرغبن فيه.

ألوان الربيع



* الوان الربيع تسيطر على الازياء الصارخة. ثلاث قطع لتايور من الكتان البيج. التنورة ضيقة والجيليه مخرجة بألوان متشابكة.

طريقة خاصة للاهتمام بالشعر الخفيف





● للاهتمام بالشعر الخفيف عليك اختيار الشامبو المناسب والذي يحتوي على زيت اللوز وعلى عناصر اخرى مقوية. ومن ثم غسل الشعر بالطريقة الصحيحة حيث يفضل دعك فروة الرأس بأطراف الاصابع برفق في حركة دائرية ثم شطفه.

* التسريحة المناسبة *

- افضل قصة للشعر الخفيف هي الشعر القصير او المتوسط الطول والمدرّج بخفة لكي يعطيه حجما اكثر سمكا. وهناك مجموعة من التسريحات المناسبة.

- يدهن الشعر «بالجيل» ويضم الى الخلف، وتترك الخصلات اعلى الرأس على شكل بوكلات متداخلة ملفوفة بغير عناية.

- يوزع «الموس» على الشعر ويسرح خلف الاذن وتترك خصلة رفيعة تتطاير على الجبهة.

- بعد تجفيف الشعر يعاد فرده بالمكواة الكهربائية حتى يبدو متوجا بنعومة حول الوجه.

- يفرق الشعر على شكل خصلات رفيعة تلف كلها على شكل بوكلات صغيرة.

- بعد الانتهاء من هذا العمل، تمرر الاصابع بين خصلات الشعر لاعطائها شكل «فلو» ثم يرش بـ «السبريه» لتثبيت التسريحة.

اجمل تزيين لثمرة الأناناس الطازجة

[illegible] الشرحات [illegible] الى اللب اللحمي من الثمرة.

- تعصر كريما بالأناناس [illegible] في التالي [illegible] ثم تقلب على طبق زجاجي، وتغطى بشرحات [illegible] من الأناناس وبحبات الكرز وتوضع على الكريما اكاليل الأناناس [illegible] وتوضع حبة كرز في وسط الاوراق التي تعلو الاكاليل.

وتزين كل ربع قطعة من الأناناس بالكرز وبشرحات [illegible].

* شرحات الأناناس المعلبة *

[illegible] شرحات الأناناس كاملة او [illegible] اثلاثا او [illegible] لتكوين اشكالا مختلفة [illegible] زهرة مثلا او نجمة او فراشة الخ...

وتزين بعد ذلك بالفواكه او بالكرز [illegible] او بالعيدان [illegible] او بواسطة كيس التزيين.

على الوتر

* سعود الاسدي *

اهلا وسهلا يا توفيق فيّاض!!

كيف علقت تلك الفراشة الرقيقة الملونة بذراع مسّاحة زجاج السيارة امامي؟! ثم منذ متى هي عالقة؟! لعلها علقت بعد الخلاص من نقطة تفتيش الجلمة شمال مدينة جنين اثناء دخولي في مرج مقيبلة – صندلة.. على ان نسمة من نسمات الربيع الناعمة في الـ ٣٠ من آذار راحت توشوشني بعد ان مرّت بأناملها الطرية على طرابين اغصان شجرات الصنوبر المعمرات اللواتي تتفيأ ظلالهن مدرسة مقيبلة القديمة، لتعيد الى نفسي بوشوشاتها الرهيفة شيئا من التوازن بعد التوتر الذي اصابني جراء ان يكون الانسان على النازلة والطالعة موضوعا للتفتيش..

* * * [illegible] * * *

وعلى كل، تظل الطبيعة هي الاقدر، حتى في اضعف جندها. فقد ظلّت تلك الفراشة العالقة بذراع المسّاحة اباها عالقة في رأسي كنموذج على المقدرة الطبيعية الساخرة من قوة الانسان!! فان تلك الفراشة كغيرها من سائر الهوامّ تظل تعبر الحدود، وتجتاز الاسلاك الشائكة والاسوار والسدود، غير مبالية بالقيود، وعلى عينيّ جنود الرب، ورب الجنود، ولا من يستطيع ان يسألها عن تصريح، او هوية، او جواز سفر.. فوطنها هنا، ووطنها هناك، وزمانها كل زمان، ومكانها كل مكان، واذا كانت تُحسد من قبل احدهم، فان ذلك الحسد دليل على ان هذا الاحد في وضع لا يُحسد عليه، والحمد لله!!

كنت استطيع وبكبسة على زرّ ان احرك ذراع المسّاحة لاجعل الكارثة تحل بالفراشة، ولكني لم اجرؤ على تلك الفعلة، ولو كنت فعلتها لما كنت يستطيع ان اخبئ وجهي من وجه صديق وعشير صباي الاخ توفيق فيّاض الذي التقيته بعد خمسة وعشرين عاما قضاها في غربة المنافي بعيدا عن وطنه وعن اهله وذويه في مسقط رأسه قرية مقيبلة في مرج ابن عامر.

لقد قدم ضيفنا العزيز زائرا، بل «عائدا» لاخيه غازي الذي يرقد على سرير المرض في المستشفى الايطالي بحيفا، والذي نسأل الله ان يشفيه!!

جلسنا ثلاثتنا توفيق فيّاض وعصام خوري وانا، وكان صعبا على توفيق لوقع المفاجأة في البداية ان يمسك بخيط الفراشة.. قلت له:

هذه الفراشة من حقول مقيبلة
لقد ركضت خلفها وانت طفل صغير
وها انت لم يتغير عليك شيء
وهي كذلك لم يتغير عليها شيء
فامسك بها من جناحيها
ثم اطلق سراحها
فلعل الذي حلّ وثاقها
ان يحلّ وثاقك عن قريب!!

اطلقت يد توفيق فيّاض سراح تلك الفراشة، ابنة مرج ابن عامر في سفح جبل الكرمل ولسان حاله يقول:

هنا اسرحي
هنا امرحي
ايتها الفراشة الجميلة
في سفح جبل الكرمل الحبيب
وبلا حسيب او رقيب
تبرجي ما شاء لك ان تتبرجي
ولتسعدي في الليالي
فان حالك

قسما بحياة عينيك الناعستين
وحياة جناحيك الرقيقين
احسن الف الف مرة
من حالي
فلتسرحي ولتمرحي!
ايتها الفراشة الحبيبة
في سفح جبل الكرمل الحبيب
بدون حسيب
او رقيب!!

ورغرغت عينا عصام خوري بالدمع.. قلت في نفسي: ما هذا الوجد؟! ولي ابة بئر من آبار الحزن العميقة سقط ثلاثتنا!! قلت: لا بد من قشّة دقيقة تتمسك بها..

اسمع يا توفيق!!.. وتظل روايتك الاولى «المشوّهون» شهادة جرأة لك.. ويثني عصام خوري على القول ويضيف: انها الديناميت الذي فجّر صخور الصخر المتراكم طبقات وطبقات فوق النفس الفلسطينية.. والابداع الفلسطيني.. قلت: وفجّر كذلك عند صاحبها طاقة كانت كامنة، لان الحملة التي واكبت ظهور الرواية كانت كافية لقصم ظهر صاحبها حتى ولو كان اعظم كاتب.. وهنا رأيت توفيق يحني رأسه ويقول: لقد طاشت عني سهام الحملة بعيدا، وبقيت اواجه الوحدة: حتى دفعت الى المطبعة بمسرحية «بيت الجنون» وهي مونودراما، واعتقد انني كنت ثالث ثلاثة انفردوا في تقديم مسرحية الممثل الوحيد الـ «مونودراما».. لقد استفدت من تجربة الكاتب بيدرو بلوخ فان هذا الكاتب، وكاتبا اخر اعتقد انه داريو فو الايطالي كان لهما الباع الطولى في هذا الفن.. كما انني استفدت من العروض «والمسرحيدية» اثناء مواطنتي في البلاد. كنت اذهب الى المسرح بزنبوط وقهتي لاشاهد في «الامفيثيترون» الممثل «ميشي اشروف» كما انه كان للممثل اللبناني «بيير سلامة» الو كبير عليّ، وبيير سلامة الذي عمل فيلم «الاجنحة المتكسّرة» عرض مسرحية بيدرو بلوخ «ابدي برودبس».. وهنا اشعل توفيق سيجارته وسحب عليها نفسين متلاحقين، فاغتنمت الفرصة لالخص:

انك يا اخ توفيق وللحقيقة كنت اول كاتب مونودراما في الادب العربي.. قال: ولكن بعد ذلك صارت هذه الطريق المودبل، ولكني اقول زاكرز: انني ذُهلت وسُحرت بيبير سلامة، لان بيير سلامة لم تكن تشعر وانت تشاهده يمثل انك امام ممثل، بل انت امام انسان يحيا، وبكل احاسيسه، حالة وجدانية بحق وحقيق.. بيير سلامة اعطاني الشحنة/ القدحة التي اشعلت النار في الهشيم المتراكم داخل نفسي، لانني بعد محاولة التحطيم التي جُرّبت عليّ في تجربة «المشوّهون» رحت افتش عن وسيلة/لون من الوان الادب الرحّ من خلاله ماذا يوجد في داخلي، فقلت في مقدمة بيت الجنون:

كفرتم بي فزدت بنفسي ايمانا

ويومها قال لي محمود درويش: بل قل
كفرتم بي فزدت بكم ايمانا..
وكان ما قاله محمود درويش

* * * واخيرا وصلت الى مقيبلة * * *

وصلت للزيارة اياها لاعود اخي ونور عيني ابا هشام.. ان كل شيء احسّه مظلم من حولي ويمسح عينه بيديه ويمرّ لفترة صمت.. قلت: نعم ان كل شيء مظلم، ولكن ليس كظلمة ذلك «النبع» الذي فجّره «سالم» في البئر، وهنا يشرئب عصام خوري ويضيف: الفجر ينبثق من الظلام.. وهنا يفيض توفيق فيّاض كالنبع:

قصة «النبع» لها مكوّنات عدة: قديمة وحديثة، واقعية واسطورية، ذاتية وموضوعية.. بدأت هذه القصة تتشكل عناصرها في نفسي منذ كنت طفلا، فقد سمعت منذ صغري ان لصوصا مسلحين سطوا على دكان في قريتي، فقتلوا امرأة صاحب الدكان وفقأوا عينه، وقد عاش المسكين، بعد ان تزوج مرّة اخرى، وفيًا لذكرى زوجته الاولى وردة، وقد وعيته في صغري وقد كان يحمل صينية القهوة بيديه المرتجفتين كل صباح الى قبر زوجته وما برح على هذه العادة كل يوم الى ان لحق بها.. ان موت وردة هو اعظم حزن رأيته في حياتي.. مقبرة قريتي فيها قمّة ذكرياتي.. اين اولئك الذين لقّموني وانا صغير بعباءاتهم؟! اين الايادي المعروقة بالوشم الاخضر والتي كانت تلامس وجنتيّ؟! اين الحاج سلامة؟! اين ذيب الحاج حمّاد؟! والحاجة زريقة، والشيخ نعيم، وستّي انيسة، اين عمي ابو حسن وسيدي سليمان الداوود، وعمي ابو العبد وصبحي، وابو ربحي وسيدي عوّاد؟! وابن سيدي حنّا الذي سرقت دكانته وزوجته القتيلة وردة؟ وابن ام رجا الزوجة الثانية لسيدي حنّا؟! لقد قادني وعيي بلا وعي الى ان ازور هؤلاء، لقد قرأت على ارواحهم، وعلى ارواح قبور الشهداء الفاتحة، ثم لطفت وردا احمر/شقائق نعمان على النصب المتناثرة هنا وهناك.. وانا من مواليد سنة ١٩٣٩، واتذكر كل شيء.

والنبع؟!

ان النبع عندنا اسمه المسناوي، وقد اكتشفت سنة ١٩٨٣ في مراكش بالمغرب ان مسْنا اسم مدينة في مراكش وان الذي حفر البئر لنا هو مغربي من مسْنا كانت صنعته حفر الآبار.

ويوم غار النبع؟!

لقد غار النبع وكان الفضل لاخي غازي الذي يرقد الان في المستشفى في احتفاره من جديد..

وهنا يقول عصام: ولكن «النبع» رمز وهنا تنفرج اسارير توفيق ويقول.. لا اخفي عليكما انني كنت في هذه القصة تموزيًا كنعانيا واريد البعث من الموات، وان سالم هو «شالم» إله الخصب الكنعاني، لقد اختمرت فكرة الكنعانيّة في رأسي فعمدت الى الاساطير وحشرت معي الجنّ، والحكايا التي في الزوايا وَ.. وَ.. ولقد سئلت عن كل هذا في جامعة هامبورغ بالمانيا امام طلاب معهد الاستشراق ويومها قالت لي احداهن: ان تجعل الحاجة «زهرة» خطيبة «سالم» رهينة للعزوبية ومنذورة لسالم طيلة حياتها هذا ظلم وخرق لحقوق الانسان، واجحاف بحق المرأة..

قلت لها: يا تقبريني انت! اعتقد انك مسيحية.

قالت: نعم قلت: ان هناك عشرات الكنائس ومئات ملايين المسيحيين الذي جعلوا ستنا مريم العذراء تحبل بسيدنا المسيح عليه السلام وتلد، وتعيش حياتها كلها عذراء بدون زواج فهل تعتبرين هذا ظلما وخرقا لحقوق الانسان واجحافا بحق المرأة؟! ثم ماذا تقولين لآلاف الراهبات العذارى اللواتي نذرن انفسهن عرائس للمسيح، ويعشن حياتهن خطيبات له؟! اهل هذا ظلم الخ...

احب ان الفت النظر ان للاساطير قوة وراء الدفق الابداعي عند الفنان، ولان بلادنا قديمة وشعبنا عريق الحضارة، فان في كل متر مربع من ارضه وقعا لحكاية، او قصة، او اسطورة، المهم ان نسمعها وان نهضمها ونستعين بها في عملية الابداع!!

قلت: جميل جدا.

وشيء ثان؟!

شيء ثان الموسيقى

وثالث؟

ثالث الفن التشكيلي، وكل الفنون بصورة عامة..

فان للموسيقى، كما للفن التشكيلي والمسرحي آثارا ايجابية في عملية الابداع عند الاديب، وجميعها روافد لاغناء التجربة الانسانية لما فيها من الوان وتلاعب بها. فاللون الاصفر مثلا في الحقيقة هو لون كسائر الالوان محايد، ويصبح غير محايد عندما يدخله الرسام في نسيج لوحته ولا اظن ان هناك لونا اصفر عند فنان يشبه لونا اصفر اخر عند فنان اخر، هناك اللون وشيء يضاف اليه من داخل الفنان، وهو نفس الامر بالنسبة للكلمة، ان الكلمة تفقد حيادها عندما تدخل في تركيب النص.. انها تعني الكلمة وشيئا اخر من ذات الفنان.

وانت ماذا تمنيت ان تكون من هذه التجربة الكتابية؟! انا لا اتمنى الا ما انا عليه واحسن!!

وماذا تريد ان تكون مستقبلا؟

ليعتني اكون عازف شبابة وراء قطيع غنم يرعى في ارض مقيبلة لاظل اشبّب على شبّابتي للاحباب من مطلع الشمس حتى الغياب!!

● محمود ابو شنب ●

انها واقفة..!

الواقع ان وزير الخارجية الامريكي، كريستوفر، لم يحقق الكثير في جولته المكوكية الاخيرة. ولا نبالغ اذا قلنا انه لم يحقق شيئا، رغم ان المراقبين يعتبرون، وهو مثلهم طبعا، انه حقق في جولته الاخيرة ما لم يحققه في كل جولاته السابقة. وكل ما انجزه هذا المبعوث الاستعماري في جولته الاخيرة تمثل في تليين موقف مصر بشأن التوقيع على معاهدة حظر انتشار السلاح النووي، وحتى هذه، لم ينجزها كريستوفر حتى نهايتها، وقام باتمامها مبعوث استعماري اخر، هو نائب الرئيس، آل غور في زيارته الاخيرة لمنطقتنا، حيث ابلغ قادة مصر بصريح العبارة، ان مصادقة الكونغرس على الدعم الامريكي لمصر، غير مضمونة ابدا، اذا لم توقع مصر على معاهدة حظر انتشار السلاح النووي.

ويبدو لنا، ان الاقتراح الذي ستتقدم به الولايات المتحدة الى هيئة الامم المتحدة باسم الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن بشأن ضمان دعم الامم المتحدة للدولة التي تكون ضحية لعدوان نووي، انما جاء فقط، لتطمين مصر والانظمة العربية، بالا يخافوا ولا يحزنوا، فالامم المتحدة ستساعدهم، وما عليهم الا التوقيع على المعاهدة وتسليم امرهم الى امريكا والى حسن نوايا اسرائيل!!

وهكذا، ستوقع مصر والانظمة العربية الاخرى على المعاهدة، وستبقى اسرائيل وحدها في المنطقة التي تملك السلاح النووي، والانكى من ذلك، ان اسرائيل هذه المرة تحظى بتسليم الدول العربية بهذه الحقيقة. ولن ينجح قادة مصر في التغطية على تراجعهم مهما فذلكوا الصيغة التي يبررون بها موقفهم.

واذن، ماذا حققت جولة كريستوفر؟ خصوصا وان مسألة استئناف المحادثات الاسرائيلية السورية، التي اريد لها ان تضاف الى رصيد انجازات كريستوفر، لا جديد فيها ايضا، اذ ان مثل هذه المفاوضات كانت تجري من قبل وعلى مستوى السفراء، فقادة الاركان، وها هي تعود الان وعلى نفس المستوى، فما هو الجديد؟ وما هو الانجاز؟ اللهم الا ما يدور الان من الشائعات، التي سمعنا مثلها في الماضي ايضا، من ان تقدما جرى في هذا المسار في المفاوضات الاسرائيلية السورية في واشنطن. مع ان وزير الخارجية بيرس، لم يؤكد هذا الامر نافيا ان يكون حصل اختراق في المفاوضات.

وقد اكد وزير الخارجية بيرس في نهاية جولة كريستوفر بان استئناف المفاوضات مع سوريا سيجري دون ان تتنازل الاطراف عن مواقفها السابقة، الامر الذي يعني ان اسرائيل تتمسك بابقاء احتلالها لقسم من الجولان، وهذه مسألة، حسب كل الدلائل، لن تقبلها سوريا على الاطلاق. ومن ثم، فان استئناف المفاوضات على ما يبدو، لن يكون اكثر من مجرد كلام لا لشيء، الا لاضفاء هالة زائفة من النجاح على جولة كريستوفر. ومن جهة ثانية، لكي يبدو وكأن العملية السياسية مستمرة وغير متوقفة.

لقد خطط ان تتزامن جولة كريستوفر مع عقد جولة اخرى من المفاوضات الاسرائيلية الفلسطينية في القاهرة. وهنا، ومرة اخرى لخلق الانطباع الزائف ايضا، بان المسيرة السياسية مستمرة، فيما هي ليست كذلك، ومن هنا ايضا نرى، ان الذين يطالبون بوقف المفاوضات، لا يطالبون في الواقع بشيء، فالمفاوضات متوقفة اصلا، ولا حاجة لايقاف الواقف، وعلى هؤلاء، بدل ذلك، ان يقترحوا بديلا.

واذا ما اراد احد برهانا على مراوحة العملية كلها، عليه العودة الى تصريح يوئيل زينغر، رئيس الطاقم الاسرائيلي في المفاوضات مع السلطة الفلسطينية، والذي قال، لدى خروجه من جولة المفاوضات، انه اتفق على اجراء الانتخابات في الضفة والقطاع لمجلس الحكم الذاتي الفلسطيني في موعد اقصاه اواخر حزيران واوائل تموز.

ثم عاد وصرح في مكان اخر، «اننا سنبدأ المفاوضات حول الانتخابات الفلسطينية في الموعد اعلاه.. !!» وتبع ذلك تصريح رابين، رئيس الوزراء، الذي يردد كالاسطوانة المشروخة.. «لا يوجد تاريخ مقدس!» ثم تصريح رئيس السلطة الفلسطينية، ياسر عرفات، بانه لم يجر الاتفاق حول القضايا الهامة: اعادة الانتشار واجراء الانتخابات. ان الخطر في انتهاك تاريخ مقرر يكمن ليس بالنظر الى الفارق بين ما كان وما هو حاصل، بل بالفارق بين ما جرى الوعد به وبين ما هو حاصل.

ويعني كل ذلك، ان المفاوضات الاخيرة، سواء على حاجز «ايرز» بين رابين – عرفات، او بيرس – عرفات، او مفاوضات القاهرة بين الوفدين الفلسطيني والاسرائيلي، لم تكن الا لتمضية الوقت، لاطالة الوقت، وليس من تفسير اخر لهذه اللخبطة المنظمة والمبرمجة على ايدي حكومة رابين، وانها تقوم بهذه اللعبة بدعم كامل من الولايات المتحدة، التي ليس فقط انها لم تضغط على رابين، انما ايضا لم تحاول ذلك ليغير شيئا من تصلبه وعناده واطماعه، وتركت له ولحكومته الحبل على الغارب.

ولماذا يغير رابين من مواقفه؟ ولماذا يجب ان تضغط امريكا على اسرائيل، والدول العربية مفككة، وكلمتها مشتتة؟ وها هي تركيا، مثلا، تنتهك حرمة وسيادة الاراضي العراقية بذريعة ملاحقة الاكراد، ويمضي اسبوع كامل تتوغل القوات التركية في الاراضي العراقية، ويجري الحديث انها تريد اقامة منطقة امنية في الاراضي العراقية على غرار المنطقة الامنية الاسرائيلية في جنوب لبنان، وعندئذ.. وعندئذ فقط، تحركت الجامعة العربية لتطلب من تركيا الانسحاب من العراق.. وكأن الجامعة العربية تفعل ذلك من قبيل رفع العتب.

امريكا وربيبتها يمكن ان يتغير موقفهما اذا تغير موقف الدول العربية من بعضها بعضا، في اتجاه تضامن حقيقي خصوصا وان الاخطار تتهددها جميعا، فما بالك بكل واحدة على انفراد.

تضامن عربي مخلص، ووقفة عربية لا تترك لليد الامريكية مكانا للتفريق والخصام، يمكن ان تعيد بعض الاحترام للعرب، وتعيد بعض الحق للشعب الفلسطيني، والمهم ان التضامن العربي يقلل من العنجهية الاسرائيلية ومن التصلب في تفاوضها مع الفلسطينيين ومع سوريا، فهل تفعل الدول العربية ذلك حقا؟

● عبد المجيد حمدان ●

وتنقلب الامال الى منغصات



وساتوقف الان عن تعداد المنغصات التي تعمل بصورة لا تقل، ان لم تكن تزيد، عن الاجراءات والممارسات القمعية الاحتلالية، لصالح مقولة رئيس حكومة اسرائيل الان، وزير تكسير العظام انذاك، عن التعب.

مع مجيء السلطة الفلسطينية، بل ومع بدء العد في انتظار مجيئها، برزت امال، رافقتها احلام، باقتراب اوان معالجة المنغصات، تخفيف حدتها اولا ثم ازالتها كليا في وقت لاحق. ولم يخفف من وهج الامال، او من لذة الاحلام، تلك المعرفة المسبقة بطبيعة السلطة القادمة، تكوينها، عادات العمل فيها، تفكيرها، علاقاتها.... الخ.

السلطة، وقد عرفها الناس كذلك، لم تعش حياة مجتمعية كاملة، خصوصا في حقبة تونس. عاشت بعيدة، منفصلة، عن مجتمعنا. وقبل ذلك لم تعاشر فئات اجتماعية بعينها، ولم تتعرف على مصالحها واوجاعها، كفئة المزارعين الفلاحين مثلا، واصحاب شركات النقل، والمثقفين العاملين لصالح مجتمعهم.. وغيرهم.. وبالتالي لم تدخل في علاقات العمل تلك الحسابات الخاصة بمصالح الفئات الاجتماعية المختلفة، والبحث عن القواسم المشتركة بينها... وظل الحديث عن الوحدة الوطنية مثلا يخص وحدة الفصائل، وهي عسكرية في تكوينها الاساسي، ولا يتوقف عند الفئات الاجتماعية، وتلاقي او تضارب مصالحها. والبحث عن القواسم المشتركة بين هذه المصالح ظل يدور في اطار المجرد، وغير الملموس او المحسوس.

ولذلك حين جاءت، بدأ الضباب يكتنف تلك الامال اولا، ثم اخذ التآكل يصيبها، حتى تحولت هي بدورها الى منغصات اضافية... وحتى لا يقال بان هذا الكلام هو الاخر يدور في المجرد، لننتقل الى الملموس والمحسوس.

دافعو الضريبة، وهم اكثر من فئة اجتماعية واحدة، تجار، حرفيون، صناعيون... الخ. انتظروا بفارغ الصبر انتقال دوائرها الى اليد الفلسطينية... ومن بعض قبل عن لهفة الانتظار، آمالهم في تسويات ضريبية اسهل مع الجهة الفلسطينية.

وفسر هذا القول بفكرة مسبقة عند دافع الضريبة عن امكانية رشوة اليد الفلسطينية، في حين كان ذلك متعذرا مع اليد الاسرائيلية. وقد يكون في هذا التفسير شيء من الصحة وقد لا يكون.

حقيقة الامر ان دافع الضريبة عانى طويلا من سياسة ضريبية اقل ما يقال فيها انها ظالمة... وانه ظل يتحرق للخلاص من هذا الظلم.. وما ظل يتردد على لسانه، سائق التكسي مثلا، او صاحب شركة للباصات، من انه يعمل نصف الوقت لصالح الضريبة، ونصف النصف الباقي لتعويض الاصلاحات والاستهلاك، والباقي يتجزأ ليكون بعضه لصالح اعاشة عائلته، وتطوير رأسماله، ليس مجرد طريقة للتشكي او لدفع الحسد.

وبدون استطراد في الموضوع، كلنا يعرف ان السياسات الضريبية للحكومات تشكل الروافع الاساسية لتحريك او تعويق عجلة الاقتصاد وتطوير وتحسين، او عرقلة الخدمات المدنية المختلفة. وفي بلدان الدمقراطية يحسب الحكام الف حساب لصوت دافع الضريبة... وكلنا لا بد يذكر ان بند السياسة الضريبية في برنامج الرئيس كلينتون هو الذي ضمن له الفوز في انتخابات الرئاسة الامريكية، رغم هالات المجد التي احاطت بالرئيس السابق جورج بوش، بعد حرب الخليج.

وسياسة الاحتلال الضريبية، التي تحرق المواطن للخلاص منها، استهدفت منع تحريك عجلة الاقتصاد الفلسطيني، وابقاءه ذيلا للاقتصاد الاسرائيلي. وحين استجاب دافع الضريبة لنداء العصيان عن دفعها، فعل ذلك لانه يعرف ان الاذى الذي سيلحق بالعصيان سيظل اقل من مثيله في حال الاستمرار في الدفع.

اكثر من ذلك طالب دافع الضريبة، وفي الالتماسات امام المحكمة العليا الاسرائيلية، باجبار سلطة الاحتلال تقديم كشوف عن مجالات الخدمة المدنية لصرفها.. وهو حق طبيعي لدافع الضريبة في بلدان الدمقراطية.

وحين جاءت السلطة الفلسطينية امل دافع الضريبة بتغييرات عميقة في السياسة الضريبية، تزيل الغبن الذي استهدفت السياسة الاحتلالية الحالة، لكن ذلك لم يحصل. كل ما حصل هو تبدل لفظي للشعار.

اذ ويقدرة قادر غدا دفع نفس الضريبة، والمتأخر منها استجابة لنداء العصيان الضريبي، واجبا وطنيا... لانها تذهب الان، او بعضها ان شئنا الدقة، لليد الفلسطينية... دون مراجعة، او محاولة التأكد، فيما اذا كانت هذه السياسة ستعمل على دفع عجلة الاقتصاد او على استمرار عرقلتها.

الاهم من كل ذلك ان حق دافع الضريبة في معرفة اوجه صرفها، وبالتحديد في تطوير وتحسين او تعويق مجالات الخدمة المدنية، هذا الحق ظل مصادرا او لم يقل باستعادته في وقت ما. يقال له بكل الوضوح ان الواجب الوطني في الدفع تتم ترجمته في صورة الصرف على جهاز بيروقراطي يستمر في التضخم والترهل، وفي تدني فعالية ادائه في الخدمة، ولدرجة ان الترحم على جهاز مماثل من ادارات الاحتلال قبل التنقل، صار مسموعا ومكررا... وهو ما ساتعرض له لاحقا.

● عفيف سالم ●

العقلية المستترة خلف «الفصل»

التصريحات، التي ادلى بها هذا الاسبوع، وزير الشرطة، موشيه شاحل، حول خطة الفصل بين الكيان الفلسطيني وبين اسرائيل تستدعي وقفة جادة، ليس فقط، لان هذه الخطة تعتمد، اساسا، على العقلية الامنية الاسرائيلية، بل لانها، ايضا، تكشف حقيقة موقف حكومة رابين الحالية من سبل حل القضية الفلسطينية. اذ قال شاحل في تصريحاته تلك انه سيتم نقل مراكز الشرطة الاسرائيلية القائمة حاليا في مدن الضفة الغربية المحتلة الى المستوطنات القائمة في هذه المناطق المحتلة، على ان يتم تعزيزها بوحدات من «حرس الحدود».. ولم يضف الى ذلك ميليشيات المستوطنين في هذه المستوطنات. واعرب عن امله في ان تتم مضاعفة عدد افراد الشرطة العاملين في هذه المناطق. وقال شاحل ان قوات الشرطة هذه ستتولى حماية الامن والنظام العام بعد اعادة انتشار قوات الجيش الاسرائيلي، وايضا على الحواجز ونقاط العبور.

واضاف شاحل في تصريحاته تلك ان اذرع الامن المختلفة من الجيش وغيره شاركت في وضع هذه الخطة، التي تقترب من صورتها النهائية اعدادا.

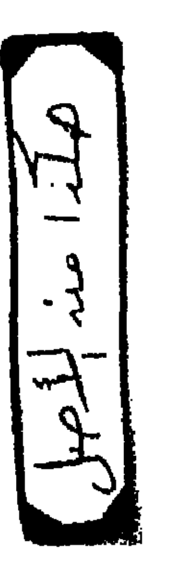
المعروف ان اعادة انتشار الجيش الاسرائيلي في الضفة الغربية المحتلة هي الخطوة، التي يجب ان تسبق اجراء الانتخابات للمجلس التشريعي الفلسطيني، او كما تقول اسرائيل «لمجلس الادارة الذاتية» وحتى الان، رغم الحديث المتكرر عن احراز تقدم طفيف او جدي في محادثات القاهرة الفلسطينية – الاسرائيلية، لم يتم اتخاذ اي خطوة جدية في هذا الاتجاه، لا بل نسمع ان قائد اركان الجيش الاسرائيلي العام، الجنرال امنون شاحك، يتحدث عن صعوبات ما في تنفيذ مثل هذا «الفصل الامني» في الضفة الغربية. وطالب بان يتم منع، منعا قاطعا ومطلقا، دخول سيارات الشحن الغزية الى اسرائيل.

ما تجدر هنا الاشارة اليه ما كان اعلنه وزير الشرطة والمسؤول عن اعداد خطة الفصل، موشيه شاحل، في وقت سابق، من ان بعض قادة الجيش ما زالوا متمسكين بالمفاهيم الامنية القديمة، التي كانت قائمة قبل اتفاقات اوسلو. وذلك في اشارة واضحة الى ان هذا البعض لا يعارض، فقط، الفصل الامني، الذي يدور الحديث عنه، بل ايضا، يحاول هذا البعض ادخال هذه المفاهيم الى الخطة، التي لم ينته اعدادها كلية حتى الان.

واذا ما استندنا الى مواقف رابين المعلنة من القضايا الامنية فبامكان كل قارئ، مطلع ان يتصور صورة هذه الخطة النهائية، والتي من المتوقع ان تكون اقرب الى مفاهيم هذا البعض من قادة الامن، منها الى مفاهيم بعض الساسة، الذين يحاولون الحصول على مكاسب عالمين، عالم الاحتلال القديم بصوره وابعاده، وعالم المسيرة السلمية الجارية.

ويقينا ان تحذيرات ياسر عبد ربه، احد اقطاب السلطة الفلسطينية، نابعة من هذا التناقض القائم. فقد حذر من اخطار انهيار المسيرة السلمية، وذلك بسبب المواقف الاسرائيلية المعرقلة لتنفيذ ما اتفق عليه عمليا. ويجدر الاهتمام بهذا التحذير اهتماما جديا، خاصة في ضوء ازدياد الاصوات الفلسطينية المطالبة بالانتقال الى بحث المرحلة النهائية من الحل، والرافضة للابتزاز الامني، الذي تستمر فيه حكومة رابين خاصة في القضية الامنية. وهو الامر الذي اعترف بيرس به من جانب اخر. فقد قال هذا الاسبوع ان عرفات يقوم بخطوات جدية في مواجهة ما اسماه بالارهاب الا انه ما زالت لدينا العديد من المطالب.

هذه المواقف المتعددة الاتجاهات والمطالب تعطي، بهذه الصورة او تلك، اضافات هامة الى ما هو معروف حتى الان عن خطة الفصل هذه والتي تقول في المحصلة النهائية بان حكومة رابين لم تغير كثيرا في عقليتها الامنية.. حتى وهي تدعي بانها تسير في اتجاه تحقيق السلام مع الفلسطينيين.



في اطار مشروع البهائيين في «جادة بن غوريون» في حيفا

(تتمة من ص ٩)

توسيع الحدائق وتنفيذ المشروع. والبيوت جميعها عربية. حاولوا اغراء بعض الاهالي بالمال. وكان هناك من رفض وكان من وافق.

ومن الذين رفضوا الخروج وصمدوا امام بريق المال، السيدة سامية مزاوي، التي تقول: «نحن في بيتنا من قبل عام (١٩٤٨). وفيه سكن الآباء والاجداد ولن نتركه مهما دفعوا لنا، لانه بيتنا الاول. ولا صلاحية لهم لاستخدام القوة لاخراجنا منه لانه ملك لنا. ولا اتصور انه يوجد قانون يسمح لهم بذلك». وقالت: «اذا كان الهدف هو التطوير، ففي كل دولة اعمال تطوير وتغيير معالم ولا يوجد نص جاهز يقول: مكانك ظل! لماذا اعطوا بيتا مقابل بيت وبنفس الحجم، قد نقبل بترك البيت».



● شارع «بن غوريون» في حيفا.. الصورة ملتقطة من احد المنازل العربية المعدة للهدم ●

ومن الذين قبلوا «بالخلو» الآنسة عبلة صباغ، وهي من صفد، قدمت عام (٤٨) الى حيفا، واستأجرت بيتا من املاك الغائبين. ودفعت الاجرة للبهائيين. وظلت في البيت المستأجر من سنوات الخمسين الاولى الى ما قبل سنتين. لقد طلب البهائيون منها اخلاء البيت لهدمه في اطار تنفيذ المشروع واعطوها بيتا في شارع (هجيفن ٩) مقابل البيت الذي كانت فيه في «بن غوريون».

وتقول عبلة: «اشترى البهائيون بيوتا كثيرة. وهناك من رفض البيع، واليوم، - يوم الثلاثاء (٢٨/٣/٩٥) المحرر - بدأوا بهدم بيت كامل رنو»!

● رد البهائيين ●

وردا على سؤال حول اهداف المشروع ومن يموله قال نائب سكرتير البهائيين في حيفا، موريس سميث: «ان مشاريع المركز البهائي العالمي على جبل الكرمل في حيفا، تنفذ وتتقدم حسب برامج نالت تأييدا كبيرا وشغلت حيزا في وسائل الاعلام. ومشروع الحدائق المعلقة، فحص من كل جوانبه، ونشر عنه في مراحل تحضير التخطيط وتجنيد الدعم على مدى عشر سنوات، وكانت تلك فترة كافية. اعطيت فيها الفرصة لكل من يرغب بتقديم اعتراضه. وعولجت كل المواضيع المرتبطة بالمشروع والمترتبة عنه. ولتنفيذ المشروع سيجري هدم اربعة منازل يملكها البهائيون في القسم الجنوبي من «جادة بن غوريون». وتجدر الاشارة الى ان المركز البهائي العالمي لن يهدم البيوت التي ليست بملكيته القانونية. ولن يتخذ اي اجراء قبل استكمال المتطلبات القانونية. ومع كل التفهم للتخوف الذي تملك البعض، يجب رؤية ومقارنة ذلك مع اهمية وكبر المشروع وحيويته لمدينة حيفا. والبيوت التي ستهدم يملكها البهائيون منذ (٤٠) عاما واكثر. وهناك بيت يملكونه منذ (٦٥) سنة. وتلك البيوت ليست في الحي العربي في حيفا». وقال ان المشروع يتضمن اقامة (١٨) حديقة معلقة تبدأ من سفح الكرمل وذلك تحقيقا لحلم نبي البهائيين عبد البهاء».

وقال: «كل تكاليف المشروع مولت من البهائيين في اكثر من (٥٥) دولة في العالم. ونرفض الحصول على اي دولار من غير البهائيين او من اية جهة حكومية. التبرعات تجمع فقط من الذين يؤمنون بالدين البهائي».

لماذا انا متفائل؟

(تتمة من ص١١)

طريق السلام، بدلا من طريق الحرب وسفك الدماء. وطريق السلام - كما هو معروف - لها ديناميتها. فما هو غير متفق عليه اليوم يمكن ان يتم الاتفاق حوله غدا. مثلا، عندما ذهب الطرفان الى مدريد لم تكن اسرائيل تعترف لا بمنظمة التحرير الفلسطينية ولا برئيسها ياسر عرفات. اما - بعد «اتفاق اوسلو» - فقد اصبحت اسرائيل تعترف بالمنظمة وبرئيسها ياسر عرفات. وها هو ياسر عرفات، نفسه، يربض فوق تراب الوطن الفلسطيني - في غزة هاشم - ويأتي اليه، في مقره في غزة، حتى الزعماء الاسرائيليون وزعماء من مختلف دول العالم.

ان المشكلة مع غير المتفائلين - او بالاحرى المتشائمين - ليس فقط في انهم لا يرون الا كل ما هو سلبي في «اتفاق اوسلو» وانما لا يرون، ايضا، حقيقة الحقائق وهي ان اسرائيل، التي كانت، فيما مضى، تأخذ دائما - بقوة السلاح - ولا تعطي شيئا، اصبحت مضطرة، بعد هذا الاتفاق، ان تعطي - بقوة السلام وليس بقوة السلاح - لا ان تأخذ.

فالفلسطينيون - كما يقول وزير الخارجية شمعون بيرس - ليس لديهم ما يعطونه وهم ينتظرون ان يأخذوا فقط.

وواضح ان المفاوضات بين اسرائيل والفلسطينيين تتعثر دائما ليس بسبب ان الفلسطينيين يرفضون ان يعطوا وانما بسبب ان اسرائيل ترفض ان تسدد ما عليها من دين للفلسطينيين وتساومهم على حقوقهم المشروعة التي تعترف بها بموجب «اتفاق اوسلو».

ولكن.. الى متى ستبقى اسرائيل تساوم؟!

لا بدّ، في نهاية المطاف ان تعطي الفلسطينيين كامل حقوقهم المشروعة. فلا بد مما ليس منه بدّ.

ولهذا اقول: انا متفائل.

لن تكون النفوس الحاقدة امة، مهما كثرت

(تتمة من ص. ١)

فيعامل الطرف الخاسر كأعداء في ساحة القتال. لا ينظر اليهم كمواطنين من شعبه وبلده واهله. فلا منظار عنده الا «ورقة» الاقتراع، وهذا يؤدي الى ان يزداد غيظ الطرف الخاسر وينمو حقده، فيتمنى ان يفشل الرئيس، وتتوقف المشاريع.. فيعيّن وزير الداخلية رئيسا ما، وليكن من اكثر الاحزاب عداء للعرب.. فالمهم ان يبلغ الحقد غايته..

اصبحت اوروبا دولة واحدة.. واخذت الشعوب المتقاربة في الحدود تبني منظومات اقتصادية حتى توفر للانسان حريته وسعادته.. والوطن العربي في سبات.. وعندما يصحو لا يتذكر الا الاحقاد. في العرس احقاد ومجاملات. وفي الصلوات احقاد ومجاملات.. في الجامعة العربية احقاد ونفاق، وبين الطائفين حول البيت العتيق احقاد لا نهاية لها.

وحتى تصبح امة تبلع بعضها بعضا.. لا نحتاج الا الى كابح في الضمير، يوقف مسيرة الاحقاد. ونكتم غيظنا واحقادنا.. حتى لا ترث اجيالنا القادمة حقد الآباء.. وصدقوا او لا تصدقوا، نحن ضحايا الاحقاد العربية عند الآباء والاجداد منذ اكثر من الف عام، واولادنا سيكونون ضحايا احقادنا، واحفادنا ضحايا احقاد اولادنا..

وما اسهل ان تنهي وتصفي الاحقاد بيننا من افراد وشعوب.. والبدء يكون بين الافراد فليجرب كل فرد ان يصاحب الذي يحسبه عدوا، ليجرب محاولته. لسنا شعبا سيئا، لكن قنوات الاتصال بيننا اما مقطعة او ان الاحقاد والمشاعر غير العقلانية اخذت حق الامتياز في ربطها.. وكل آثار والوطن بخير..



بقلم: د. ادوار الياس

* من يخجل من شكل وجهه يدير للناس ظهره.
* حينما يدخل الفقير الى المطعم يسأل عن السعر قبل الاكل.
* للديون ارجل تسير عليها.
* الالتزام نوع من الامل، والامل دافع للعمل والنجاح.
* مع مرور الايام يصبح الاعقل اقدر.
* لا يعمل بنصيحة الاحمق سوى الاحمق.
* الفرق شاسع بين ما تعرفه وما تستطيع اثباته.
* الغبي يقبل بالموجود، اما الذكي فيواصل البحث عن المطلوب.
* مدمن الحسد يحسد الناس على عثراتهم!
* الغبي يعامل الناس بالمثل، اما الذكي فيستعمل دماغه.
* الحكيم لا يبحر على متن سفينة الاغبياء.

* يقول الالمان:
- المرأة الالمانية هي الاجمل!
* وتقول العرب:
- القرد في عين امه غزال!
* يقول الطليان:
- يستنجد بنادي الاجداد!
* وتقول العرب:
- يفتش عن دفاتر اجداده العتيقة!
* يقول الفرنسيون:
- من يدفع ثمن التذكرة يصل الى باريس!
* وتقول العرب:
- من يدفع حق الزميرة يزمر ابنه!
* يقول اليابانيون:
- لا تظهر قيمة القديم الا بعد تجربة الجديد!
* وتقول العرب:
- لن تعرف خيري حتى تجرب غيري!
* يقول الانجليز:
- لا تكون نهايات جميع الاحلام سعيدة!
* وتقول العرب:
- مش كل مرة بتسلم الجرة!
* يقول الاسبان:
- بيضة لم ولن تبيضها دجاجة!
* وتقول العرب:
- من سابع المستحيلات!

فولتيريات!

من محاسن الصدف ان يتعرف «كنديد»، خلال وجوده في بلاد الدانمارك، على انسة حسناء سليلة عائلة عريقة حلت بها مأساة، اطلق عليها خالقه ومبدعه الفيلسوف الفرنسي فولتير اسم «زلوئيد» وكتب:

بعد ان انتهت زنوئيد من سرد قصتها بكت، فمسح كنديد دموعها وقال: ان كل شيء على احسن ما يكون.. ولو لم يحدث ما حدث لما كنا في هذا الكوخ الحقير حيث يقع كل شيء خيرا مما في اجمل ما يمكن من قصور!

وترد زنوئيد: آه.. يا سيدي! لم يقل لي والدي ان كل شيء على احسن ما يكون، وكلنا ملك لرب يحمينا، ولكنه لم يُرد ان يبعد عنا الهموم التي تلتهمنا والامراض التي تقسو علينا وما لا يُحصى من الشرور التي تحزن الانسانية، وفي امريكا ينمر السم في الدسم ويسكب اسعد الناس الدموع، وينشأ من اختلاط السعادة والتعاسة ما يسمى الحياة، اي البرهة الزمنية المعينة البالغة من الطول عند الحكيم ما يجب معه ان تستعمل، دائما، لما فيه خير المجتمع الذي يُتمتع فيه بما صنع الرب القادر من غير ان يُبحث، بسخافة، عن علله، وفي تنظيم الانسان لاموره وفق ما يوحي اليه ضميره، وفي احترام الانسان دينه على الخصوص، فيكون كثير السعادة باتباع تعاليمه.

وتواصل زنوئيد كلامها: ذلك ما كان يقوله لي والدي الجليل، غالبا، وكان يضيف: ويل للكتاب المتهورين الذين يحاولون اكتناه اسرار الرب القادر! لقد جمع الناس، حول مبدأ يريد الرب ان يُمجد به من قبل ملايين الذرات التي انعم عليها بالحياة، بين الاوهام المضحكة والحقائق المكرمة، فيعبد الدرويش في تركيا والمجوسي في فارس والبوذي في الصين والبرهمي في الهند ربهم على وجوه مختلفة، ويتمتعون، مع ذلك، براحة بال في ما هم غارقون فيه من ظلمات. وكل من يحاول نفض الغبار عنهم لا يجديهم بشيء، لانه من الصعب جدا ان يتخلى الناس عن الموروث.

ويقول كنديد: انك تتكلمين مثل فيلسوف.. والواقع ايتها الانسة! انني اقدرك واعجب بك الى درجة..

ويتمتم كنديد ببضع كلمات، وتبصر زنوئيد ارتباكه وتتركه، مجتنبة البقاء، لوحدها معه. ويسعى كنديد بين ان يكونا وحدهما او ان يكون وحده تماما، ويغرق في سوداء، فتّنته. فقد اولع بزنوئيد واراد اخفاء الامر، وكانت نظراته تكشف سره. وقال: اه..! يا صديقي الفيلسوف بنغلوس..! لو كنت هنا لاحسنت نصيحتي، لقد كنت يا صديقي فيلسوفا عظيما!

☐ صحيح القول ان «الاتحاد» هي صحيفة الحزب الشيوعي والجبهة الدمقراطية للسلام والمساواة، والناطقة والمعبرة عن مواقفهما وخطهما، فكريا وسياسيا واجتماعيا. لكن «الاتحاد» كانت وما زالت صحيفة كل الجماهير العربية والقوى الدمقراطية والتقدمية اليهودية في اسرائيل. وهذا ما اثبتته الايام، خاصة على زمن الحصار الاعلامي والاعلاني الخانق الذي ضربته اجهزة السلطة الاسرائيلية حول «الاتحاد»، على زمن الحكم العسكري البغيض وما تبعه من ازمنة.

لقد عاشت «الاتحاد»، وما زالت، وستواصل العيش بشرف الكلمة والقرش الابيض النظيف، المجبول بعرق عامليها ومحبيها من العمال والفلاحين وكل الكادحين.

ويعرف القاصي والداني، والصغير قبل الكبير، ان الجماهير الشعبية العريضة كانت، وما زالت، مع «الاتحاد» وتحافظ عليها كمحافظة العاقل على بؤبؤ عينه.

ومن هذا المنطلق يحق لكل وطني شريف ان يقول معتزا: «الاتحاد» جريدتي و..

«مش جريدة ابوك»!

☐ ذات نقاش سياسي - تنظيمي حامي الوطيس، خلال اجتماع عادي لهيئة التحرير، وكان هذا في اواسط الثمانينات من القرن العشرين، اعلن كاتب هذه الكلمات تمرده على قرار حاول رئيس التحرير فرضه بقوة الاكثرية المطلوبة.

فخبط اميل حبيبي «ابو سلام» بكفه على خشب الطاولة وصاح:

- انا رئيس التحرير وعضو المكتب السياسي للحزب، عجبك.. عجبك! وان ما عجبك بتقدر تروح على البيت!

فارتعدت غضبا، واجبته صائحا:

- هذه مش جريدة ابوك!

فالتصق ظهر «ابو سلام» بظهر الكرسي وسكت، وبعد برهة ابتسم ونطق:

- الحق معك. هذه جريدة الجميع، الغينا القرار وسنعود الى بحث الموضوع في ما بعد.

ومع مرور الايام، التي لم يكن مفر من مرورها، وقع سوء تفاهم مع «ابو سلام» وسكرتيرة التحرير، في حينه، الزميلة سهام داوود، فصاح بها:

- مش عاجبك..! بتقدري تروحي على البيت!

فتخنصرت الزميلة سهام واجابته، صائحة:

- ليش..! الجريدة جريدة ابوك..؟

وضحك «ابو سلام» وقام عن الكرسي وصرخ في وجهي:

- شو رجّعك من تشيكوسلوفاكيا؟! مش كان احسن لك واريح لنا لو بقيت عند ابلا الدانوبية؟!

وبعد ان كف جميع الزملاء الحاضرين في الاجتماع عن الضحك اجبت:

- يمكن كان احسن واريح..! ومع هذا، فالجريدة مش جريدة ابوك!

وغشفش «ابو سلام» ضاحكا، وغشغشنا ضاحكين! و..

☐ لتأكيد المقولة القائلة ان «الاتحاد» مدرسة، اذكر النادرة التالية:

- في مطلع النصف الثاني من العقد الثامن، وعشية يوم الارض، عقدت هيئة التحرير اجتماعا خاصا برئاسة اميل حبيبي، لتنظيم العمل وتوزيع المحررين والمراسلين على مناطق البلاد لضمان اوسع تغطية صحفية للفعاليات يوم الارض. وكانت التوزيعة كالتالي:

- انطوان شلحت يغطي مسيرات ومهرجان مثلث يوم الارض (ديرحنا - عرابة - سخنين)، نظير مجلي مسؤول عن الناصرة وكفركنا والمنطقة، نسيم ابو خيط مسؤول عن مهرجان الطيبة والمثلث والزميل «اكس» مسؤول عن النقب ويسافر، لبعد المكان عن حيفا، في سيارة صليبا خميس، الخطيب المركزي في مهرجان رهط. اما المحررون الاخرون فيبقون في المكاتب لالتقاط الاخبار من الاذاعات والوكالات والمراسلين المحليين، عبر الهاتف.

ومع حلول ساعة الصفر انطلق كل منهم نحو هدفه، متسلحا بأوراقه وقلمه وكاميرته، وبعد ان قاموا بالواجب عادوا الى المكاتب وحرروا التقارير وقدموها الى رئيس التحرير.

وبعد ان انتهى «ابو سلام» من مراجعة التقارير استدعاهم الى غرفته وقال، خطيبا:

- يعطيكم العافية، يا رفاق! لقد ابدعتم. والانصاف يسمح لي بتدوين اسمائكم على تقاريركم.

وما ان سحب «ابو سلام» التقرير الاولاني وكتب: «● سخنين - كتب انطوان شلحت» حتى كنعش الزميل «اكس» في مقعده وكشر وقال:

- ما في ضرورة لكتابة الاسماء!

فهز «ابو سلام» رأسه وواصل عمله وكتب: «● كفركنا - كتب نظير مجلي». فقرت دمعة من عين الزميل «اكس» واعلن:

- شو لازمة هالفانية!

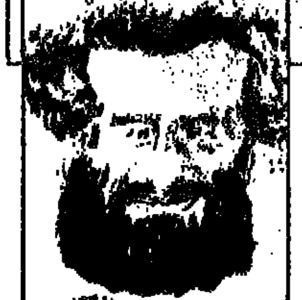
وبدون ان يلتفت «ابو سلام» الى هذه الملاحظة كتب: «● الطيبة - كتب نسيم ابو خيط». وسحب التقرير الرابع والاخير ليكتب «رهط - كتب..» فانفجرت عينا الزميل «اكس» وصاح بغضب:

- ما بدي تكتب اسمي..! انا كاتب معروف وطابع كتب.. انت بدك تبهدلني.. لو اخبرتني من البداية لكنت صغت التقرير احسن من هيك بألف مرة.

وايمانا مني ان قراء «الاتحاد» اذكياء، انهي بالقول:

- ان اللبيب من الاشارة يفهم!

عزومة على العنوان لمسرحية بلا عنوان



■ الدعوة التي وجهها الي ثنائي مسرحية «مسرحية بلا عنوان» خالد عواد ونسرين فاعور لحضور حفل ميلاد المسرحية كانت خيرا وبركة، ومن على هذا المنبر الهاجسي الحر اوجه شكري الجزيل ومباركتي لهما على هذه الدعوة السخية والمهمة.

افتتاح عمل مسرحي يعني ولادة مخلوق جديد، بعد عملية معاناة تصل احيانا الى عملية قيصرية، ولكن انطلاق هذا المخلوق الى الحياة فيه فرحة ومتعة وشعور بقطف ثمار التعب، وبمجرد انه ولد، فهذا اثبات على وجوده وامكانية مشاهدته، وبمجرد انجازه تنجز نصف المهمة، قبل الحديث عن النصف الثاني وهو شكل المولود، مواصفاته، قوته الجسدية، نغاشته، جماله او حتى قبحه.

انتاج مسرحنا المحلي ليس كثيفا وما ينطبق على عنصر الانجاب الغزير في المواليد لدى العرب قديما، لا ينطبق على عصرنا هذا، لان الانجاب مكلف وباهظ وفيه مسؤولية كبيرة وخوف من الفقر و «القلة» وتفكير عن وعي بأن الكيف يلعب دورا اكثر من الكم، لذلك فان يوم ميلاد مسرحية ما هو الا يوم فرح وجمعة ولقاء وتوتر.

وما اجمل ان يكون اوائل المحتفلين بالمولود، بصحبة الوالد والوالدة (الفنانون المنتجون للعمل) هم الاهل والاصدقاء والفنانون والنقاد، هؤلاء هم الحماية والظهر للوالدين، لان رد فعل هؤلاء المحتفلين هو المقياس الاول والبسيط والتعاطفي الذي ينير الدرب امامهما فيدلهما على كيفية التعامل مع مولودهما الجديد، وطرق العناية به، ووصفه بالشكل الصحيح كي ينطلق نحو رحلة التكامل التالية في الاحتفالات (العروض) القادمة، علما بأنه كيفما كان شكله يبقى في عيني امه غزالا، ان حضور هؤلاء الضيوف والاهل لحفل الافتتاح يحل عقدة المواجهة الاولى للمولود الجديد مع جمهوره.

شكرت خالد ونسرين لعدة اسباب، فدعوتهما لي، ذكرتني بولادة بعض مسرحيات مسرحنا «مسرح السيرة»، التي كانت الى حد ما مشابهة للولادة السابقة لمولود خالد ونسرين الذي لا يزال بلا عنوان ولا هوية.

فولادة مسرحيتنا «زريف» كانت تحت «العمدان» عندار جارنا نبيل الرشرش في قريتنا المغار، بدون ادنى حاجة لمستشفى او «أمبلنس»، وفضلنا ان تكون لحظات الولادة والصراخ علنية وباستعمال اضخم ما يمكن استعماله من مكبرات صوت ومايكروفونات وعلى مرأى ومسمع الاهل والاقارب والجيران وضيوف صحفيين وفنانين من المناطق المجاورة، وكانت ولادة جميلة، ممتعة، رائعة، على انغام اليرغول الفلسطيني واغاني المطرب المحبوب «شكيب الشلحة» ومعزوفات فرقته الموسيقية العملاقة، فخرج المولود «زريفا» جدا، وهو لا يزال ينطلق نحو التكامل حتى الان خلال تجواله المكثف في سائر القرى والمدن وامام جماهير غفيرة.



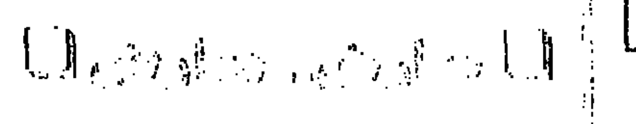
واما ولادة مسرحيتنا «دادي» فقد كانت في دار اخي رياض، وهي (الدار) لا تزال في طور الترميم، والرفاء والبنين، وهنا ايضا كان المعازيم هم الحماية للوالد والوالدة راضي ومنيرة في فرحتهما التامة لاستقبال مولودهما الجديد الذي حظي بأغنية مليئة بالعاطفة من اخت الطفل البطل المولود «نونو» ومطلعها:

دادي مشّي مشّي
دادي كعك محشّي
دادي يا قرين الفول
دادي حمص مبلول
دادي دادي دادي
سبقتك الاولاد

كم هو جميل ان يصبح الفنانون اهلا وعائلة واصدقاء، يشاركون بعضهم البعض في حفلات ميلاد اعمالهم المسرحية والفنية عامة.

ولكي اكون منصفا ولا اكتفي بالحديث عن عزائم ميلاد الاعمال الفنية بدون ان اتطرق ولو بقليل من النقد لمولود خالد ونسرين «مسرحية بلا عنوان» فانني لاحظت كمية المجهود الذي بذلاه من اجل اخراجه الى حيّز الوجود، فالمسرحية فيها حيوية، وبحث عن اشكال مسرحية تخدم الحركة، وتعبئ المساحة والفضاء المسرحيين، ولم يكتف الممثلان خالد ونسرين بسرد النص شفهيا، بل راحا باجتهاد يبحثان عن وسائل لا محدودة للتعبير عن هذا النص بادوات المسرح، من استعمال جيد لجسدهما الى الاكسسوارات والملابس والديكورات والاهتمام الجيد بالنواحي التقنية من صوت واضاءة.

مبروك ما جاءكم، وعقبى للمعوزين من سائر المسرحيين والفنانين، ودامت دياركم بالميلاد عامرة، وبالنسرين والخلود خالدة.



●● انتهى مؤخرا المعرض الجماعي الذي اقامه «جاليري اناديل» بالتعاون مع المركز الثقافي الفرنسي في القدس، وقد اشترك فيه كل من: اسد عزي، نبيل عناني، تيسير بركات، خالد حوراني، احمد كنعان، جواد المالحي، ماري مكرن، سليمان منصور، خليل رباح وفيرا تماري.

●● وما زال المعرض الفردي للفنان ابن قرية المكر ابراهيم نبواني مستمرا في «جاليري شالوش - للفنون المعاصرة» في تل ابيب.

والفنان ابراهيم نبواني درس الفن التشكيلي في معهد «بتسلئيل» في القدس واشترك في عدة معارض محلية ودولية، فردية وجماعية. منذ عام ١٩٨٧ وحتى اليوم، واستطاع نبواني ان يرسم له طريقا مميزة في عالم التشكيل بعد ان قدم العديد من الاعمال الفنية وخاض في تجارب خاصة مستقبا من كبار الفنانين الذين سبقوه.

●● وغدا السبت يفتتح معرض الاخوين سعيد وفريد ابو شقرة من ام الفحم في «جاليري اوفرات» في تل ابيب.



ومن المعروف عن الاخوين ابو شقرة انهما بالاضافة الى شقيق ثالث كانوا اصدروا في الفترة الاخيرة كتيبا يتضمن عدة لوحات لكل منهم مع نبذة عن حياة كل واحد.. وايضا كانا قد شاركا في معارض عديدة في السابق بالاضافة الى ان فريد قد اشتهر بأعماله الجدارية في عدة اماكن في البلاد.

في مهرجان مسرح الاطفال في حيفا

مسرحية عربية واحدة في المسابقة وواحدة ضيفة وواحدة دمى!

* مسرح «القصبة» الفلسطيني [illegible] ضمن المسابقة [illegible] *

* حيفا - لمراسلنا الفني - يقام من تاريخ ٤/١٦ وحتى ٩٥/٤/١٩ مهرجان مسرح الاطفال السنوي في حيفا ويصادف ذلك عيد الفصح العبري بحيث يكون الاطفال في عطلة مدرسية.

وستعرض في المهرجان (٦) مسرحيات ضمن المسابقة من بينها مسرحية عربية واحدة وهي مسرحية «بنت الطحان» من انتاج مسرح «القصبة» الفلسطيني وباللغة العربية. كتب المسرحية: جورج ابراهيم، اخراج: ضرار سليمان، ديكور: ابراهيم المزين، ويشترك فيها كل من: محمد عودة الله، احمد ابو سلعوم، خالد الناصر، حسام ابو عيشة ونريمان منصور، وسيكون عرضها على مسرح «الكرمة» في ١٨ و٤/١٩.

كما ستقدم في المهرجان (٥) مسرحيات تعرض لاول مرة في المهرجان الى جانب مسرحيات المسابقة التي تعرض ايضاً لاول مرة، وهناك (١٥) مسرحية، وايضاً مسرح الدمى، حيث تقدم (٦) مسرحيات من بينها مسرحية عربية واحدة، وهي مسرحية «مين يساعد الارنب» باللغتين العربية والعبرية وهي من تقديم مسرح «الكرمة»، تأليف واخراج: سيمون غولكو.





بالاضافة الى كل ذلك فهناك مسرحيتان من تقديم مسرح الهواة و(٧) عروض لمسرح الرقص الشعبي والحديث.

تداعيات

(مفلح الطبعوني)

لقاء بلا حذر

هالني الخصبُ
بظل رغبات عتيقةْ
عندما فاجأتني
بعينيها
قطرةُ الدم الاخيرة
ترى من اين
كلّ هذا العشق عادْ؟!!
ومن اين
حضورُ اخضرار الاساطير؟!
التي لا تعادْ
من اين؟!
وقد عانقتني
طاقةُ الارتقاء
وغادرتني
ذاكرة الاضطراب
مع بقايا النبضات المتعبة
الى غابات البقاء

ها انذا
امتشقك اختماراً
اتكئُ
على ذروة النشوة
وحزني الغائمْ
على تداعيات اللقاء
بلا حذر
هارباً
من زحمة الامكنة
ومرايا الازمنة
الى سكون ابديّ بعينيك
يدعني
اموتُ
وحيداً...
بعيداً...
عن الضجيج!!
فدعيني
اموت
في حضن هذا العناق!
بلا كفن
واكاليل
واعيديني
صهيلاً مطارداً
لحالة الثُمالة
ووصل التساوق مع الرؤى
الى موجات
جنون بريق الحكايا
اذكريني
مع الصديقات
والاصدقاء
بارتشاف سَراب
«التي كانت هيَ الداء»
كي ترقص الفرحةُ
في عينيك
كرعشة الحرارة
في ضَهْد شفتيك
ورجفة الخشوع الحزين
مرفرفاً حولَ وجنتيك

(الناصرة - آذار ١٩٩٥)

رئيس الجمهورية الايطالية يحيي الشاعر د. صلاح محاميد



قد اسرع بابراق تعبيره عن تشكراته العميقة وتقديره تجاه صلاح محاميد، الطبيب والشاعر الفلسطيني الذي يعيش بين احضان جبالنا منذ سنوات عديدة.

تحيات الرئيس تعتبر الاخيرة من بين الاعترافات الكثيرة التي حصل عليها. وما زالت الندوات الادبية تقام في كورتينا وفينيسيا، فانه بالذات هذا الشهر سيكون الشاعر صلاح محاميد ضيف الشرف في قاعة كالوسكي في بادوفا، لاحياء حفلة «سهرة القدس» التي تحتضن قصائد عن القدس.

(من: منير موسى)

* د. صلاح محاميد مع رئيس اتحاد الكتاب الاطباء الطليان في احدى الفعاليات *

● في آذار الجاري نشرت صحيفة «الكوريري ديللي ألبي» بقلم مراسلها الصحفي اميلير غواريليا تحية من الرئيس الايطالي اوسكار سكالفارو ارسلها مكتب رئيس الجمهورية الى الشاعر الفحماوي صلاح محاميد وهذا نصها:

«د. صلاح محاميد الموقّر تقبّل رئيس الجمهورية كتابكم ذا القصائد الجميلة الذي يحمل اسم «حجارة من القدس». لقد تمتع بقراءته ويشكركم بحرارة. فلتصلكم اجمل التحيات والتمنيات بالصحة من رئيس الجمهورية. الرجاء ان تتقبلوا ايضا مباركتي».

وحملت الرسالة توقيع ماجدا ميكيلا تزوكو، مستشارة رئيس الجمهورية.

وتابعت الصحيفة تقول:

الرئيس الذي نحن بصدده، سكالفارو، كان

Roma, 21 FEB. 1995
Prot. SG/3649

Egregio Dottore,

Il Capo dello Stato ha ricevuto il Suo bel libro di liriche "Sassi da Gerusalemme". Lo ha gradito e La ringrazia cordialmente.

Le giungano i migliori saluti ed auguri del Presidente della Repubblica

Il Consigliere del Presidente
(Dr. Magda MICHELA ZUCCO)

* صورة عن رسالة التحية من رئيس الجمهورية *

ثعلب المدينة

عصبوا اعينهم
ربطوهم الى السافية
يقطع النمل اوصالهم
ويحملها الى كهوف العتمة والعفن
رمال مدينتهم تلتهب
كامرأة يؤججها الشبق والسعار
تضاجع ابناءها
فتلد طفلا بذنب
كذنب الحمار...
عوى ثعلب المدينة
امتشق سيفاً واسفارا
واعتلى قمة المدينة...

بكَ اقتل الموتَ!!

من قلب الغضب
اطلعُ اليكَ
بكَ اقتل الموتَ
الزاحف الى بيتي واناملي...
من الردم.. من العبث
والجسد المتعب...
امتشق اياماً ستأتي
من خطوط فوق جبيني
وحزن مدينةٍ
اضاعت قلبها
آتياً انتَ
اني اراكَ
ولهذا...
ما زلت افتح عينيّ صباحاً
ثم الزم...!!

(ام الفحم)

على جرح انامُ، واقتلُ الدمعات يا املي
على امل اقوم ألملمُ الذكرى
واشطبُ كل آلامي،
وفي ألمراخط على الدفاتر كل احلامي،
ومن حلم اعودُ اليك يا حلمي...
لكي اتعوّدَ الذكرى الجديدة حين ألمحك...
يسافر في عيونك طيرُ عودتهم
ويكبر في صباحك صبحُ فرحتهم
اذا سقط البياضُ على السوادِ وآنَ...
ولىّ الحب والنغمْ
احبك ثم لست احب غيرك يا ملء روحي
فطيري ثم عودي صوب نافذتي
ترينَ القلب يرقصُ حين يلمحك
احبك والليالي لم تعد من ليل اهوالك

* * *

ليالٍ جائعات كنّ لي وجعاً
وكل نجومها كانت كما الابرُ
تدقُ بكل اضلاعي اذا لمعت
واشفى حين يأتي الصبحُ والوترُ
لماذا يا إلهَ الكون تؤلمني...
نجومٌ... والليالي مثلُها القدرُ
انا ابن الوقت لا وقتٌ يروّضني
احب جميلة الارض التي أزورُ
اسافر صوبَ ارض لا ملاذَ بها
اغني الارضَ حتى هدّني الضجرُ
لماذا يا ترى احببتُ في وَلَهٍ
وما الحب الذي احببتُ يشتهر
انا الولهان يا ارضي بصحبتك
انا من قال ارضا حبها المطرُ
جرى مطري على خديكِ يا وطني
كما يجري بشرياني دمي الشررُ

(باقة الغربية)

قصة

القبران المتعانقان

● بقلم: لجيب سوسان ●

● اجل يا غسان.. يا حفيدي الغالي جدا.. عندما كانوا يقولون امامي قبل اكثر من خمسين عاما من الآن.. وانا طفل مثلك ثم وانا شاب في اول شبابي.. ثم وانا رجل بكامل رجولتي.. ثم وانا اب ولي ابناء اربعة.. عندما كانوا يقولون ما اغلى من الولد الا ولد الولد.. لم اعر لمثل هذا القول اي اهتمام خاص.. او حتى مجرد التفكير به ولا حتى اشغال نفسي بما يحتوي مثل هذا المثل الشعبي من معنى ودلالة سلالية وعاطفية.. ولكن.. ولكن يا حفيدي الغالي وانت قد اصبحت بالفعل حفيدي الاول من بين الذكور في هذه الحياة المستمرة والمتواصلة.. وتناديني يا «دودو» بدلا من ان تناديني يا جدي او يا جدو وبدلع الاطفال.. او يا سيدي او «يا سيدو» كما يقول الاطفال في مثل عمرك في العامية الدارجة عندما بدأت «تتأتىء» وتنطق اول الكلمات في اول سنة من عمرك.. مثل كل طفل آخر يبدأ في «التأتأة» والنطق في اول الكلمات ويستعمل تسميات خاصة في نطقه للتعبير عما يعنيه ويقصده.. ولا تزال تتمسك بهذه التسمية الخاصة بك بالرغم من بلوغك سن العاشرة.. وانا بالفعل قد اصبحت جدك او كما يحلو لك ان تسميني وتناديني بدلع الاطفال يا دودو... احس الآن واشعر بل واعترف امام جميع الناس بأن هذا القول.. هو حقيقة ثابتة وراسخة مثل باقي الامثال الشعبية الاخرى الدارجة في كل مكان وزمان لا جدال ولا مناقشة فيها على الاطلاق.. اجل يا حفيدي.. ها انك الآن تعود وهنا في هذا المكان البعيد بالذات وقرب هذه التلة الصغيرة التي يسميها اهل هذه المدينة العتيقة جدا واهالي بعض هذه القرى القريبة من هذه المدينة «بتلة الفخار» لما يمتاز ترابها البني في صنع الاباريق والجرار الفخارية وغيرها مما يضفي عليها طابعا شعبيا خاصا ويدل على طبيعة سكانها الاصليين، وآخرون يسمونها بتلة «نابليون» الذي حاول تكويم بعض التراب في هذا المكان ورفعه بعض الشيء لعله بذلك يستطيع ان يرى ما في داخل هذه المدينة العتيقة ليفتحها ويحتلها... ولكنه فشل فشلا ذريعا امام صمود اهل هذه المدينة وصلابتهم.. وظل هؤلاء الآخرون يسمونها بهذا الاسم للتذكير بهزيمة هذا الغازي في هذا المكان. وبفضل هذا السور الضخم الذي يلفها من كل جانب ويحميها من عواصف البحر في فصل الشتاء وعواصف الغزاة...

اجل يا حفيدي.. ها انك الآن تعود وتلح وتلح وتسأل نفس السؤال الملح جدا وفي نفس اللحظة حين جئت معي الى هذا المكان البعيد في السنة الماضية.. وها انك تعود وتلح كثيرا واكثر من المرة السابقة ببراءة الاطفال المتناهية.. وها انك تريد بل وتصر بعناد تام ان تعرف السبب الحقيقي عن مجيئي الى هذا المكان البعيد والبعيد جدا عن المكان الذي تعيش فيه الآن... وعن سبب وقوفي الطويل في كل مرة امام هذين القبرين المتعانقين وسط هذه القبور الكثيرة في هذه المقبرة الكبيرة بهذا الخشوع التام وهذا الاجلال العظيم... وها انك الآن تعود وتلح وتشدد ايضا تماما مثلما كان ابوك قبل حوالي ثلاثين عاما من الآن وهو في عمرك يلح في كل مرة يأتي معي الى هنا ويشدد ببراءة الاطفال العفوية ان يعرف عن سبب مجيئي في كل عام وفي مثل هذا اليوم بالذات الذي يوحي بيوم حزين خاص بذكرى الاموات.. وفي مثل هذه الساعة من ساعات الصباح الباكر الى هذه المقبرة البعيدة والكبيرة.. وعن سبب وقوفي الطويل امام هذين القبرين وسط هذه القبور الكثيرة بهذا الخشوع التام وهذا الاجلال العظيم.. والتي توحي الى من يرقد في داخلهما بأنهما عزيزان عليك وغاليان على قلبك.. وها انك تعود وتلح وتشدد تماما مثلما كان ابوك يلح ويشدد في كل مرة يأتي معي الى هذا المكان عن سبب توجهي بعد ذلك الى تلك المدينة العتيقة القريبة من هذه المقبرة والتي يفصل بينهما هذا السور الكبير الذي يبدو انه كان عصيا على جميع الغزاة الذين حاولوا الدخول الى هذه المدينة واحتلالها.. وعن سبب وقوفي الطويل امام منزل عتيق معين في الطرف الغربي الجنوبي واطالة النظر اليه ومن ثم عن سبب مثل هذا اللف والدوران في بعض ازقة هذه المدينة وحاراتها العتيقة جدا واسواقها وحاناتها التي تبدو فيها عن اصالة من بنوها وعاشوا وصمدوا فيها امام محاولة كل غزوة خارجية عليها.. وكأنها كلها جميعها تعيدك الى ذكريات طويلة خاصة بل وتحرك في اعماقك مشاعر كثيرة وشجونا عاطفية واشياء واشياء لا اعرفها.. واريد ان اعرفها..

اجل يا غسان.. لقد كان ابوك قبل حوالي ثلاثين عاما من الآن عندما كان في مثل عمرك يأتي معي الى هذا المكان البعيد في كل عام وفي مثل هذا اليوم وفي مثل هذه الساعة من ساعات الصباح الباكر ويسألني مثل هذا السؤال الملح والحرج.. وكنت انا احاول ان اتهرب منه بقدر الامكان ولا اجعله يشعر بذلك ابدا.. تماما مثلما كنت انا اتهرب منك ومن سؤالك الملح والحرج هذا في المرات السابقة.. لانه كان كما كنت اعتقد في ذلك الوقت انه لا يزال صغيراً وصغيرا جدا ولا يستطيع ان يستوعب اي شيء عما سأقوله او ابوح له به عن هذا الامر الدفين.. والدفين جدا...

لكن.. ولكن يا حفيدي.. عندما كبر ابوك بعض الشيء وبلغ سن العاشرة من عمره... احسست في تلك اللحظة وهنا في هذا المكان بالذات وامام هذين القبرين المتعانقين.. انه بالفعل قد كبر واصبح يستطيع ان يستوعب كل شيء عما سأقوله او ابوح له به عن هذا الامر الدفين.. ويستطيع ان يحفظ في ذاكرته كل التفاصيل بدقة تامة من اجل يوم الحساب الذي لا بد منه...

وقد قلت له يومها دون تهرب او حتى دون تردد عن سبب مجيئي في كل سنة وفي مثل هذا اليوم وفي مثل هذه الساعة من ساعات الصباح الباكر الى هذا المكان البعيد.. وعن سبب وقوفي الطويل امام هذين القبرين المتعانقين بهذا الخشوع التام وهذا الاجلال العظيم وهذا الحزن العميق..

اجل يا غسان.. وها انت الآن كبرت بعض الشيء.. وبلغت سن العاشرة من عمرك يوم امس بالذات واحتفلنا جميعا انا وجدتك وابوك وامك وبعض اصدقائك من الاطفال الذين دعوتهم انت الى عيدك العاشر ودعونا لك وانت تطفىء الشمعات العشرة لتدخل الى عام جديد والى عمر طويل ومديد..

وتبدو لي الآن انك اكبر من عمرك هذا بعام او بعامين وربما اكثر واصبحت على ما اعتقد تستطيع ان تستوعب كل شيء عما سأقوله او ابوح لك به الآن.. اشعر انك تستطيع ان تحفظ في ذاكرتك الاشياء التي تسمعها وتراها ولن تنساها ابدا لان الطفل في مثل عمرك يملك خلايا نقية في رأسه تعمل مثل آلة حسابية دقيقة تسجل بدقة وتحفظ عن ظهر قلب.. ثم تعيد التسجيل بكل دقة وامانة...

في آخر مرة من السنة الماضية.. وقفت انت هنا الى جانبي امام هذين القبرين المتعانقين.. وسألتني هذا السؤال الحرج بالحاح شديد واصرار تام.. خصوصا عندما لاحظت عيني وقد اغرورقت ببعض الدموع فجأة.. ولا ادري كيف لاحظتها لانني ادرت وجهي عنك لئلا تراها.. حيث تناولت منديلا من جيبي وتظاهرت بالعطس الفجائي وحاولت مسح تلك الدموع لئلا تراها في مثل هذه اللحظة وتدفعك ان تتساءل عن سبب سيل مثل هذه الدموع في هذا المكان.. ولكنك رأيتها تنساب على وجهي المتجعد تماما على شكل جداول متعرجة صغيرة. مثل قنوات ماء صغيرة ايضا تسيل في تربة عطشة.. وتنزل آثارا حزينة وخفايا دفينة على وجهي... فنظرت الي في تلك اللحظة بدهشة تامة وحيرة شديدة.. وسألتني ذلك السؤال.. لماذا يا دودو بدلا ان تسألني لماذا يا جدي او يا جدو.. او لماذا يا سيدي او يا سيدو كما يقول الاطفال بالعامية الدارجة..

لماذا يا دودو اغرورقت عيناك الآن بمثل هذه الدموع الحبيسة؟ لماذا هكذا تسيل وتسيل مثل هذه الدموع على وجهك الآن. وهل يا دودو الرجال يبكون مثل النساء... اني اول مرة ارى في حياتي رجلا كبيرا مثلك يبكي هكذا.. اني اول مرة ارى رجلا مسنا في مثل عمرك تسيل مثل هذه الدموع الحبيسة على وجهه بهذا الشكل الحزين والمؤثر جدا وتترك آثارا وخفايا دفينة وعميقة تدعو كلها الى الحيرة والتساؤل.. هل من سبب لذلك... وهل من سبب لتسيل مثل هذه الدموع الحبيسة على وجهك وتجعلك تشهق هكذا وتجهش في البكاء، مثل طفل صغير فقد امه او اباه فجأة او فقد الاثنين معا.. واخذ يشهق ويجهش في البكاء عليهما...

من يا دودو.. من يرقد في هذين القبرين المتعانقين على هذا الشكل وسط هذه القبور الكثيرة في هذه المقبرة الكبيرة؟ لا بد ان من يرقدان في داخلهما عزيزان عليك جدا. لا بد ان من يرقد في داخلهما غاليان على قلبك كثيرا.. فالانسان لا يبكي بهذا الشكل الا على اناس عزيزين جدا.. الانسان لا تسيل مثل هذه الدموع من عينيه الا على اناس غالين على قلبه كثيرا... الانسان لا يقف امام مثل هذين المتعانقين على هذا الشكل وبهذا الخشوع التام وهذا الاجلال العظيم الا من تربطه بمن يرقد فيهما صلة قرابة متينة جدا.. الانسان لا تسيل منه مثل هذه الدموع امام مثل هذين القبرين المتعانقين ويشهق ويجهش في البكاء الا على اناس فقدهم بطريقة مأساوية حزينة... ورجل كبير ومسن في مثل عمرك.. لا يقف امام حفيده بهذا الموقف الحرج والمرتبك والحزين الا وانه لا بد له ان يكون تحمل في اعماقه معاناة طويلة وطويلة جدا طال احتزانها وربما اراد ان ينفس عنها بهذه الدموع على الاقل، وجد في مثل عمرك يقترب من هذا العمر لا بد له ان يتركها لحفيده على الاقل..

اجل.. يا حفيدي.. قبل حوالي عشرين عاما من الآن.. عندما كان ابوك في العاشرة من عمره وجاء معي الى هذا المكان البعيد.. احسست في ذلك اليوم بالذات وفي تلك اللحظة عندما سألني مثل هذا السؤال الحرج.. احسست انه كبر بعض الشيء، مثلما انت قد كبرت الآن.. واصبح في عمر يستطيع ان يصغي الي بكل اهتمام وجدية... ويستوعب كل شيء عما سأقوله او ابوح به له عن هذا الامر... لقد قلت له يومها دون تهرب او لف ودوران عن سبب مجيئي. في كل سنة وفي مثل هذا اليوم الخميس الذي يسمونه بخميس الاموات.. اجل لقد قلت له لكي يحفظ في ذاكرته ولا ينسى هذين الزوجين العزيزين اللذين يرقدان في هذين القبرين المتعانقين في هذه المقبرة الكبيرة.. قلت له بكل صراحة لكي يعرف من هما هذان الزوجان اللذان يرقدان في هذين القبرين المتعانقين بالنسبة اليه كولدي... قلت له.. لم يرحل هذان الزوجان بسبب مرض معين او بسبب تقدم في السن.. قلت له كيف رحل هذان الزوجان معا عن هذه الحياة.. قلت له لقد رحلا معا بطريقة مأساوية تقشعر لها الابدان وتقف شعور الرؤوس لها... قلت له لقد رحلا بطريقة غدر وتصميم وسبق اصرار لم يشهد ان رحل زوج وزوجته معا بهذا الغدر وهذا التصميم وهذا سبق الاصرار المتعمد حتما ولا في زمن النازية ولا البربرية... اجل يا حفيدي لقد رحلا بطريقة مؤلمة ومفجعة جدا.. جدا.. لا يمكن نسيانها على الاطلاق ولا يمكن مسامحة من ارتكبها ونفذها. لقد اوصيت اباك وصية خاصة وشددت في وصيتي تلك ان

يأتي من بعد رحيلي عن هذه الحياة الى هذا المكان في كل عام وفي مثل هذا اليوم الخميس بالذات الذي يسمونه بخميس الاموات وان يقوم بالواجب عني محبة واجلالا لهذين الزوجين اللذين يرقدان معا في هذين القبرين المتعانقين. لقد قلت له.. هنا يا بني العزيز يرقد في هذين القبرين المتعانقين.. هنا يرقد ابي.. وهنا ترقد امي.. اي هنا يرقد جدك وجدتك معا اللذان لسوء حظك وطالعك السيء لم يحالفك الحظ وتحظى بحبهما وعطفهما مثلما يحظى كل حفيد او حفيدة بعطف ومحبة جده وجدته.. لم يشأ القدر ان يجعلهما يريان لهما حفيدا او حفيدة على الاقل في حياتهما مثلما كانا يتمنيان من اعماقهما.. لم يشأ القدر ان يجعلهما ينعمان بحفيد او حفيدة مثلما ينعم كل جد وجدة بحفيد او حفيدة لهما في هذه الحياة..

آه يا حفيدي.. كم.. وكم كان ابي وامي رحمهما الله واسكنهما فسيح جناته يتمنيان معا من اعماق اعماقهما ان يريا لهما حفيدا او حفيدة في يوم من الايام مثلما انا وجدتك رأيناك قبل حوالي عشر سنوات من الآن –
–... كم ... وكم كانت امي رحمها الله تنظر الى جدتك وهي عروس وزوجة لي والتي انت الآن تناديها يا منمنم بدلا من ان تناديها يا جدتي بالفصحى.. او يا تيتة او يا ستي كما يناديها كل طفل جدته باللغة العامية الدارجة.. لانك هكذا درجت على مناداتها وتسميتها عندما بدأت تتأتىء وتنطق اول الكلمات في اول سنة من عمرك.. تماما مثلما درجت في ذلك الوقت على مناداتي وتسميتي يا «دودو» بدلا من ان تناديني يا جدي او يا جدو.. او يا سيدي او يا سيدو كما ينادي كل طفل جده في اول تدرجه في التأتأة والنطق.. كم.. وكم كانت امي رحمها الله كما قلت لك تنظر الى جدتك هذه بفارغ من الصبر ان يمتلىء وينتفخ بالجنين ويكبر بسرعة لتلد لها حفيدا وحفيدة.. لم يكن يهمها هذا او هذه.. كل الذي كانت تدعو اليه وتصلي من اجله ان تحمل جدتك بسرعة ومن اول ليلة من زواجها لكي لا تتعرض الى السنة الناس وخصوصا النساء، السليطات التي لا ترحم فيما لو تأخرت في مثل هكذا الحمل بأنها عاقر او ان جدك هذا عنين وعاجز ان يملأ بطنها بمثل هذا الحمل.. كل الذي كانت ترجوه وتصر عليه ان ترى جدتك هذه تحمل في اول ليلة من زواجها وتقطع الطريق على السنة الناس السليطة التي لا ترحم.. مثلما قطعت الطريق عليهم في اول صباح باكر عندما خرجت تزغرد في الحي كله وامام جميع الناس بأن كنتها عذراء وبكر مثل كل فتاة اخرى وتعرض بقع الدم الحمراء على ملابسها الداخلية.. كم كانت تنظر بفارغ الصبر ان تسرع جدتك هذه وتلد لها حفيدا او حفيدة.. لم يكن يهمها كما قلت لك ذلك او تلك.. كل الذي كانت تتمناه قبل رحيلها عن هذه الحياة ان ترى لها حفيدا او حفيدة تلاعبه وتدغدغه او تلاعبها وتدغدغها وتأنس به او بها في شيخوختها مثل اي جدة اخرى في هذه الحياة.. كل الذي كان ابي رحمه الله واسكنه فسيح جناته يتمناه هو الآخر قبل رحيله عن هذه الحياة.. ان يرى له حفيدا او حفيدة يلاعبه او يلاعبها مثل اي جد اخر في هذه الحياة.. كل الذي كان يتوق اليه ان يرى له حفيدا او حفيدة يطوف به او بها بين البساتين الخضراء وحدائق وملاعب الاطفال العامة مثل اي جد آخر يطوف مع حفيده او حفيدته في مثل هذه البساتين الخضراء وحدائق وملاعب الاطفال.. كل الذي كان ينظر اليه بفارغ الصبر والتمني ان يرى له حفيدا او حفيدة يأتي او تأتي الى هذه الحياة ويكبر بسرعة او تكبر بسرعة ليشتري له او لها بعض الالعاب الخاصة مثل اي جد آخر يشتري لحفيده او حفيدته مثل هذه الالعاب ويتفرج عليه او عليها وهو يلعب او هي تلعب يتلهى او تتلهى بها ليقهقه وينعم بمثل هذه المتعة التي يعتقد انها من افضل المتع للجد في هذه الحياة..

اجل يا حفيدي.. لقد اوصيت اباك ايضا وكررت الوصية عدة مرات ان يأتي ابوك بعد رحيلك عن هذه الحياة في كل عام وفي مثل هذا اليوم الخميس الذي يسمونه بخميس الاموات الى هذا المكان البعيد ويضع على كل قبر من هذين القبرين المتعانقين باقة صغيرة من الزهور.. وان يملأ هذين الجرنين الصغيرين ببعض الماء النظيف.. قلت له ايضا لا تنس يا بني بعد ان تكمل هذا الواجب المقدس ان تدخل هذه المدينة العتيقة وتمر من امام ذلك المنزل العتيق الموجود في الطرف الغربي الجنوبي من حارة «الفاخورة» قرب ذلك الفنار وتلقي عليه نظرة طويلة وتتذكر اباك انه ولد في هذا المنزل العتيق ونما وترعرع على ارضه وبين جدرانه وكبر واصبح شابا يافعا يجلس دائما تحت تل الشجرة الوارفة التي بجانبه يطالع الكتب والمجلات التي يشتريها لينمي معرفته بكل شيء. قلت له ايضا لا تنس يا بني ان تمر في تلك الازقة العتيقة والحارات الشعبية داخل هذا السور الكبير وتتذكر انني كنت العب فيها وانا طفل صغير مع بعض ولداتي الصغار.. وهناك في ذلك الزقاق الذي يسمونه بزقاق المعالبق تذكر تلك الحادثة التي وقعت لي وانا طفل لا تزال علامات تلك الحادثة ظاهرة في رأسي واعلى جبيني عندما كنت على ما اذكر في الثالثة او الرابعة من عمري ومر بائع الكاز على عربة كان يجرها بغل ولا ادري كيف اقتربت منه فلبطني برجله التي كان فيها حدوة حديدية ووقعت على الارض مترنحا بالدماء الغزيرة ولولا ذلك الطبيب الذي كان اسمه سليم الخوري كما قالت لي امي وقال لي ابي لكنت فقدت الحياة – فكلما اتعرض لجرح بسيط واري نقطة دم تسيل اتذكر تلك الحادثة وادعو لذلك الطبيب الذي طبعا صار في دار الآخرة ان يرحمه الله ويسكنه فسيح جناته...

اجل يا حفيدي لقد اوصيته ايضا ان لا ينسى ان يذهب الى حارة «الجرينة» بشكل خاص ويقرأ على لافتة كبيرة معلقة فوق مدخل ذلك الجامع الصغير.. «لا يضيع حق وراءه مطالب» ابدا.. كما ولا ينسى ان يذهب الى ذلك الخان الذي يسمونه بخان «الافرنج» ويقرأ تلك اللافتة المعلقة على مدخل تلك الكنيسة التي تقول هنا كان في يوم من الايام الافرنج.. ورحلوا.. وسوف يرحل كل غاز يدخل الى هذه المدينة عنوة..

اجل يا حفيدي الغالي.. ما اجمل هذه المدينة التي سأحدثك عنها الآن.. ما اجمل ازقتها العتيقة وحاراتها الشعبية.. ما اجمل اسواقها وخاناتها التي كانت في مثل هذه الايام الصيفية تعج بالحركة الشعبية والتجمعات العفوية التي كانت تدل على البساطة والحياة الهادئة الخالية من

(البقية ص٢٢)

مشهد للبلّور، رصـــيف للزيت

● صالح حبيب ●

مفاجأةٌ،
لانك قد رميت مشاهدَ البلّور عنكَ
وما اضطجعتَ حقيبةً ومنازلاً
بيني وأطلالِ العشاء،
فلا انا متمكّنٌ في فُسحةٍ
كي أختلي فيها،
فقد غيرَ الاصيلُ ملامحاً بصهيله
حتى الظهيرة والسياج
وما اضطجعت هناك ثانيةً
كأنك شرشفُ الصفحات منتظراً
بشرنقةٍ تحاورهُ

فحاورني، لاني اكرهُ الآذانَ
في كلِّ اللغات
وكالدخان مررتُ في البلّور
كي اتأمل السفر المعرّض
للهلاك،
بهاجسِ الركبِ الشريد
ونرجس الماء المكوّر
يا مفاجأةً أحاطتني هنا،

بحقائب الذبح المُغنط
بالجرائد
والشواهد
والمجلات السميكة
كي اكون مثقفا صلداً
كما الزيت المثقفُ في يديكِ

ولي ضفيرتك السريعة
للهروب من الرمال وربما مني،

ولم تزل السحابة في المفارقِ
تحت اقدام المساء
ولم تزل عيناكِ

املكُ في يدي حطباً وكبريتاً

واين الجرأةُ الكبرى
لاشعال الفصول
لقطرة..؟
ويحجم سطر في دفاترك القديمة
قد سقطتُ على جبين القول مثلكِ
فجأةً
لكن بأشجار الرياح
وليس في سعف التمحوُرِ
يا مفاجأتي

(ديرحنا)

(تتمة من ص٢١)

التزيف والشعوذة التي تراها الآن في كل مكان وكأنها ظاهرة عابرة لا بد لها ان تزول لانها غير طبيعية ولا تتفق مع طبيعة هذه المدينة واصول العيش فيها. ما اجمل سورها هذا الذي يلفها من كل جانب والذي يضرب فيه المثل كلما اراد الانسان ان يعبر عن عدم خوفه من اي شيء.. فيقول يا خوف عكا من هدير البحر.. اي بمعنى واضح ان هذه المدينة لا تخاف من هدير البحر وعواصفه في فصل الشتاء بفضل هذا السور الكبير الذي عجز ذلك الغازي الذي كان اسمه «نابليون» ان يدخل الى هذه المدينة ويحتلها. انها اجمل واحلى مدينة بالنسبة لي.. انها مسقط رأسي ومسقط رأس ابي وجدي وجد جدي.. وتعود سلالتي فيها حسب شجرة العائلة التي انتمي اليها الى مئات السنين واكثر.. والانسان يا حفيدي كل انسان لا ولن ينسى مسقط رأسه ومسقط رأس ابيه وجده وجد جده على الاطلاق.. الانسان كل انسان لا ولن ينسى المنزل الذي ولد فيه ونما وترعرع على ارضه وبين جدرانه.. الانسان كل انسان لا ولن ينسى الاماكن التي لعب فيها وهو صغير.. الانسان كل انسان لا لن ينسى المكان الذي نشأ فيه حبه الاول.. فأنا كلما اجيء الى هذه المدينة اشعر بالراحة التامة والحنين الجارف اليها اكثر من اي مكان اخر.. كلما اجيء الى هذه المدينة احس وكأنني عدت طفلا صغيرا اتخيل نفسي عندما كنت العب في ازقتها العتيقة وحاراتها الشعبية الهادئة واركض وراء الشيخ عبدو.. كلما اجيء اليها اتخيل نفسي وقد عدت شابا يافعا من جديد فاخذت ادور في جوانبها دون اي تعب او كلل وتراني انظر الى نافذة حصينة تطل على البحر لعلي اعود وارى تلك الممرضة السمراء النحيلة ذات الشعر الكستنائي الطويل التي تفتح قلبي على حبها.. كما هي تفتح قلبها على حبي ان تعود فتاة من جديد وتجلس خلف تلك النافذة لاعود واتبادل معها تلك الاشارات والغمزات التي كنت اتبادلها معها في ذلك الوقت. كلما امر من ساحة عبود بشكل خاص لا بد لي ان اقف طويلا امام عيادة ذلك الطبيب الارمني العجوز رحمه الله واسكنه فسيح جنانه.. كلما امر من امام عيادته لا بد لي ان اتذكر الممرضة السمراء التي كانت تعمل عنده من ذلك الوقت.. ولا بد لي الا ان اتذكر تلك الكلمات التي قالها لي بلهجة مكسرة تماما عندما لاحظني مرة اقف قريبا من عيادته بشكل يدعو الى الريبة والشك انتظرها لتخرج والحق بها الى زاوية حصينة من ذلك الزقاق المعتم الذي اعتدنا ان نلتقي به معا في كل مرة.. فقال لي «روخ من هون هدا مكان منشان مريض مش منشان رزالة».

هذه الممرضة يا حفيدي التي كادت وهنا اتوقف عن ذكرها لك الآن لانك لا تزال صغيرا ولا يمكن ان تستوعب تلك العلاقة الروحية والقلبية التي كانت ولا تزال تجمع بيننا. لا يمكن لك ان تستوعب كلمة الحب الاول. هذا الحب الذي لا يمكن ان ينسى على الاطلاق.. لا يمكن لك ان تستوعب كلمة حب القلب للقلب وحب الروح للروح. لذلك اترك ذكر تلك الممرضة الآن لئلا ينساب الى اذنيها «صنين» يجعلها تصحو وتتأكد انني اذكرها فتأخذ في التلوي والتحر على تلك الذكريات معي.. تماما مثلما هي عندما تذكرني ينساب لي اذني ذلك «الصنين» فأصحو على ذكرياتي معها فآخذ في التلوي والتحسر على تلك الذكريات معها.. تلك الممرضة يا حفيدي التي لم يحالفك الحظ ان تكون هي جدتك وتناديها يا منمتم مثلما تنادي جدتك بهذه التسمية الخاصة بك.. اتركها الآن وشأنها.. ربما يأتي يوم آخر وتكون شابا واجد في نفسي الجرأة واحدثك عنها باسهاب.. واتابع الآن في سرد ما بدأت به قبل قليل..

اجل يا غسان.. عندما سألتني في السنة الماضية.. وكنت لا تزال في التاسعة من عمرك.. ترددت كثيرا وكثيرا جدا في الاجابة على سؤالك.. وحاولت ان اتهرب بشكل لا اجعلك تشعر انني احاول ان اخفي عليك سرا ما.. ورحت احدثك دون ان تشعر بذلك ابدا او هكذا خيل الي عن اشياء اخرى لا تمت بأي حال من الاحوال الى سؤالك.. ربما احسست يومها انها اشياء تافهة وتافهة جدا.. ربما لا.. لست ادري ولا اريد الحكم عليها.. رحت احدثك عن الشيخ عبدو الذي لم يخطر على بالي في تلك اللحظة سوى سيرته الغريبة التي اعتقدت انها ستكون مسلية وشيقة لك وتنسيك سؤالك.. وبالفعل لاحظتك تصغي الي بكل شوق واهتمام وتريد ان تسمع الكثير عن حياة هذا الشيخ الذي كان يعيش في هذه المدينة حياة الدراويش البسطاء ويرخي لحيته البيضاء التي كانت تشبه لحية «راسبوتين» ويحمل على كتفه قردا صغيرا التتاه ودربه على الرقص من اجل ان يحتاش من ورائه... ويحمل دفا ويطوف به بين الازقة العتيقة والحارات الشعبية.. ويأخذ في الضرب على الدف مثل ساحر ومشعوذ متمرس تماما على السحر والشعوذة ليبدأ القرد في الرقص والقفز هنا وهناك وسط تجمعات الاطفال والكبار معا.. لتنهال عليه بعض القروش وبعض بقايا المأكولات واحيانا بعض الملابس العتيقة...

لكن يا غسان.. لكن هذه المرة سأحكي لك عن كل شيء.. سأحكي لك عن سبب رحيلي عن هذه المدينة قبل حوالي خمسين عاما من الآن.. اجل سأحكي لك بالتفصيل عن سبب مجيئي الى هذه المدينة البعيدة الصاخبة في كل شيء والاقامة فيها بالرغم من ارادتي.. سأحكي لك الآن عن سبب مجيئي في كل سنة وفي مثل هذا اليوم الخميس الذي يسمونه بخميس الاموات وفي مثل هذه الساعة من ساعات الصباح الباكر الى هذا المكان البعيد جدا.. سأحكي لك عن سبب وقوفي الطويل امام هذين القبرين المتعانقين وسط هذه القبور الكثيرة في هذه المقبرة الكبيرة بهذا الخشوع التام وهذا الاجلال العظيم...

اجل يا حفيدي.. لقد كبرت الآن سنة اخرى واصبحت في العاشرة من عمرك وتبدو لي الآن انك اكبر من عمرك بكثير.. ويمكنك ان تستوعب كل شيء عما سأقوله او ابوح لك به.. ومن حقك بصفتك حفيدي وامتداد وتواصل لي في هذه الحياة ان تعرف كل شيء تماما مثلما عرف ابوك مني كل شيء قبل حوالي عشرين عاما.. فأنت حفيدي الوحيد من بين الذكور ولا ادري اذا كان سيحالفني الحظ واري وانا على قيد الحياة حفيدا آخر ليكون اخاك وسندا لك في هذه الحياة لان الانسان بدون اخ او سند له يبقى ناقصا ومعرضا للفناء.. تماما مثلما ابوك حفيد لابي واخ وسند لعمك.. هو الأخر..

وعمك اخ وسند لابيك.. فهذه الحياة كلها امتداد وتواصل مستمر.. والحفيد كل حفيد يأتي الى هذه الحياة هو امتداد وتواصل مستمر للجد.. والجد كل جد في هذه الحياة هو بمثابة الشجرة التي يتفرع عنها الابناء ومن ثم الاحفاد.. ليصبحوا فيها بعدهم آباء واجدادا.. مثلما كنت انا في يوم من الايام حفيدا لجدي وولدا لابي وابا لابني وجدا لك.. فهذه سنة الحياة على الارض التي نعيش عليها وهذا قانون المجيء الى هذه الحياة والتواصل والاستمرار فيها الى ما لا نهاية...

اجل يا غسان.. فهذان القبران المتعانقان هنا في هذه المقبرة الكبيرة وسط هذه القبور الكثيرة.. هما قبر ابي.. وقبر امي.. اللذين هما جد ابيك وجدته.. هذا القبر من الجانب الشمالي لابي المحاذي لقبر المجاهد الكبير جدعون ابي مجيد الذي كان البعض يطلق عليه اسم «الحديد» لقوة عضله وشجاعته والذي استشهد فوق ذاك السور الكبير وفوق تلك البوابة الضخمة بالذات وهو يدافع بكل شجاعة وشراسة عن هذه المدينة قبل حوالي خمسين عاما من الآن.. حينما حاصرها هؤلاء العنصريون الجدد قبل ان يحتلوها ويشردوا اهلها الاصليين ويقذفوا بهم الى مخيمات بعيدة جدا وجلبوا معهم أناسا غرباء تماما للمرهم من كل مكان ليحلوا مكانهم ليقولوا بكل وقاحة ان هذه الاماكن كانت لهم في السابق وانهم استعادوها الآن.. وهذا القبر من الجانب الجنوبي لابي المحاذي الى قبر المناضلة ام المؤمنين كما كان البعض يسمونها من كثرة تقواها وايمانها في حقها في هذه المدينة والتي استشهدت هي الاخرى خلف تلك البوابة العتيقة وهي تحاول منع هؤلاء العنصريين من الدخول الى المدينة واحتلالها.. وهذه بعض القبور المتناثرة هنا وهناك لبعض الاهالي الذين جمعهم هؤلاء العنصريون في ساحة «اللومان» واطلقوا عليهم الرصاص وقتلوهم دفعة واحدة من اجل بث الخوف والرعب في نفوس باقي الاهالي ليجعلوهم يفرون الى المخيمات البعيدة ليصبحوا لاجئين. ويجلبوا مكانهم اناسا غرباء تماما ليحلوا مكانهم ويستولوا على بيوتهم وممتلكاتهم..

اعذرني الآن يا حفيدي.. اعذرني على مثل هذه الدموع الحبيسة التي تراها الآن تسيل من عيني على وجهي بالرغم من ارادتي.. اعذرني على هذا التلعثم الفجائي الذي طرأ الآن علي وجعلني مرتبكا على هذا الشكل.. فكلما اتذكر تلك الليلة المشؤومة التي وقع فيها ذلك الحادث الاليم لابي وامي معا في هذه المدينة العتيقة قبل حوالي خمسين عاما من الآن تسيل مثل هذه الدموع من عيني بالرغم من ارادتي.. كلما اتذكر ذلك العنصري البغيض الذي اقدم على تنفيذ تلك الفعلة الشنيعة وقتل ابي وامي معا يخلقني الحزن والاسى من كل جانب ويزداد حقدي وغضبي عليه وعليهم جميعا واتمنى من أعماق أعماقي ان يعود ذلك الطوفان الجارف من جديد ويقتلعهم من هنا ويجرفهم الى اعماق البحار والمحيطات.. فلم يخطر على بالي ابدا ان يموت ابي وامي معا في تلك الليلة المشؤومة التي ماتا بها معا... لم يخطر على بالي ابدا ان يرحل ابي وامي معا عن هذه الحياة بهذه الطريقة المؤلمة التي رحلا بها معا في تلك اللحظة.. لم يخطر على بالي ابدا ان يقتل ابي وامي المسنان معا بتلك الخسة الدنيئة وتلك الوحشية البربرية التي قتلا بها معا في تلك الليلة المشؤومة.. لم يخطر على بالي ان يأتي ذلك العنصري البغيض الى منزل ابي وامي ويقتلهما خلال دقائق معدودة ومعدودة جدا... لا لشيء الا من اجل ان يزيد هو الآخر الخوف والرعب بين اهالي وسكان هذه المدينة من الشيوخ المسنين ويجعلهم يهيمون على وجوههم يفرون من بيوتهم الى اماكن بعيدة ليصبحوا لاجئين في المخيمات.. ليجلبوا مكانهم اناسا غرباء تماما للموهم من كل مكان ليستولوا على بيوتهم وممتلكاتهم...

اجل يا حفيدي.. لقد قتلهما ذلك العنصري البغيض بدافع من العنصرية البغيضة.. ربما تكون هذه التسمية جديدة على سمعك الآن ولم تسمعها من قبل.. ولكن ارجوك ان تصغي الي جيدا وانا اكرر على سمعك هذه التسمية واشدد عليها.. لان مثل هكذا سلوك من فرد ضد فرد بريء آخر او من مجموعة ضد مجموعة بريئة اخرى هي تسمية صحيحة وسوف تظل تلاحقه وتطارده وتقض مضجعه اذا كان لا يزال حيا وتلعنه في قبره اذا كان قد صار ميتا الى يوم القيامة ويوم الدين..

اجل ياحفيدي لقد قتلهما ذلك العنصري البغيض بدافع من ايمانه العنصري الذي يؤمن به كل غاز وعنصري مثله من هؤلاء العنصريين الجدد الذين يتسترون وراء خرافة بالية جدا ليس لها اساس من الصحة على الاطلاق.. تماما مثلما تستر اولئك الغزاة القدامى الذين سبقوهم بخرافات بالية ايضا لا تمت الى الحقيقة بشيء مثل «هولاكو» والصليبيين واخيرا مثل «نابليون».. اجل لقد قتلهما ذلك العرقي البغيض الذي ينتمي الى هؤلاء العرقيين الجدد الذين يدعون بأنهم رسل لاقدر قادر في هذا الكون وانهم يحملون منه صكا يجيز لهم كل شيء في هذا الكون.. ويحق لهم ان يستولوا على كل مكان يحلون فيه عنوة ويتمكنون منه.. ويطردوا اصحاب الارض والبيوت يقذفوا بهم الى مخيمات بعيدة ويجعلوهم لاجئين.. ويجلبوا مكانهم اناسا غرباء تماما مثل حكاية ذلك الدجال الذي وقف على قارعة الطريق ينتظر ان يمر ذلك الرجل على حماره... فتظاهر الدجال بالتعب والوهن.. مما جعل صاحب الحمار يشفق عليه فأركبه خلفه.. وما ان قطعا مساحة قصيرة حتى قال الدجال لصاحب الحمار.. ما احسن حمارك يا عم.. فشكره الرجل كثيرا.. وما ان قطعا مسافة قصيرة اخرى حتى قال الدجال.. ما احسن حمارنا... فتنبه الرجل لما يخبئه ذلك الدجال من حيلة ومكر ودهاء.. فأنزله عن الحمار وتركه يهيم على وجهه لئلا يقول له بعد ان يقطعا مسافة اخرى ما احسن حماري انا...

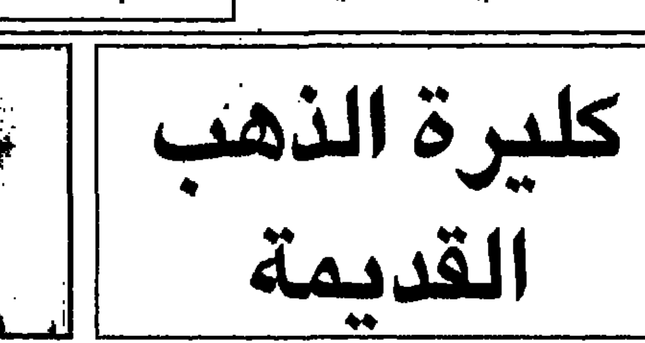
اجل يا حفيدي.. اعتقد الآن انك فهمت بما فيه الكفاية واعتقد انك فهمت سبب رحيلي القسري عن هذه المدينة التي ولدت فيها وترعرعت بين ازقتها وحاراتها واسواقها القديمة. لم استطع العيش فيها بعد تلك الحادثة المؤلمة التي وقعت لابي وامي معا في تلك الليلة المشؤومة. لم اقو على البقاء في ذلك المنزل العتيق الذي ولدت فيه ونموت على ارضه وبين جدرانه بعد تلك الجريمة التي ارتكبها ذلك العنصري البغيض.. اجل لقد رحلت الى تلك المدينة التي اعيش فيها الان بالرغم من ارادتي.. اني اعيش مثل اي غريب يعيش بعيدا عن بلده ومنزله.. اني اعيش في هذه المدينة مثل ذلك الانسان الذي يعيش في مخيم بعيد اجبر او قذف به عنوة ليعيش في مثل هكذا مخيم بالرغم من ارادته...

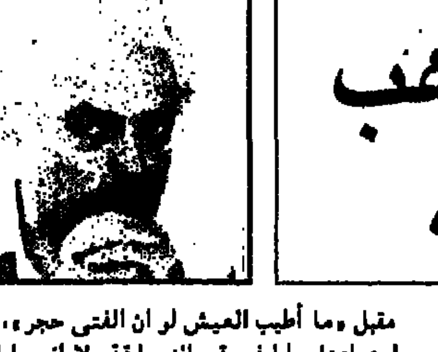
اعتقد الآن يا حفيدي انك قد فهمت بما فيه الكفاية عن سبب مجيئي في كل سنة وفي مثل هذا اليوم الخميس الذي يسمونه بخميس الاموات وفي مثل هذه الساعة من ساعات الصباح الباكر الى هذه المقبرة ووقوفي امام هذين القبرين المتعانقين بهذا الخشوع التام وهذا الاجلال العظيم...

تخيل يا غسان لو للحظة واحدة.. لو كنت انا في تلك الليلة وفي تلك اللحظة بالذات حين جاء ذلك العنصري البغيض الى منزلنا ليقدم على تنفيذ جريمته التي نفذها.. ولمت انا طبعا بأية مقاومة.. ولا بد في مثل هذه الحالة المفاجئة والحرجة.. الا ان اقوم بأية مقاومة.. تخيل الآن ابن اكون موجودا، ربما لكنت قد واجهت نفس المصير الذي واجهه ابي وامي معا وقتلت.. وكنت حتما ارقد هنا في قبر ثالث الى جوارهما.. او ربما فيما لو تمكنت من ذلك العنصري وقتلته او حتى جرحته جرحا طفيفا على الاقل.. تخيل انني حتما لا ازال اقبع في مكان آخر محاط بالجدران السميكة والاسلاك الشائكة... واعاني من تعذيب وتنكيل هؤلاء العنصريين الجدد.. تخيل لو حدث هذا او ذاك.. لما كان ابوك قد اتى الى هذه الحياة على الاطلاق.. ولما كنت انت قد اتيت ايضا.

اجل يا حفيدي.. هل فهمت الآن لمن يعود هذان القبران المتعانقان هنا في وسط هذه القبور الكثيرة في هذه المقبرة الكبيرة. هل فهمت الآن من يرقد في داخلهما.. ان من يرقد في داخلهما.. هما ابي.. وامي اللذان هما جد ابيك وجدته.. رحمهما الله بواسع رحمته واسكنهما فسيح جنانه.. وسوف تظل دماؤهما تلاحق وتطارد ذلك العنصري البغيض وكل هؤلاء العنصريين الجدد الذين ينتمي اليهم الى يوم الدين من خلال هذين القبرين المتعانقين...

(حيفا)





.. ومن أريحا غرباً... ثم غرباً

* فيصل قرقطي *

●كانت ليلة أقصر من الشهيق.. والزفير، ضمنا، فيها، سواد ليل أريحا الدافي، فاستعدنا خضرة عيوننا بعد أرق من سهر وسفر. وانزاحت زرقة التعب من الوجه. كان قصر هشام خلالها يتمطى بفرادة الوحدة. انه سيد الفنادق طراً لا لأنه الأنظف والاجمل والأكثر كياسة في خدمته (وهو عكس ذلك تماما) بل لأنه الوحيد الوحيد الذي يفتح ذراعيه للأجساد القادمة، بأرواحها المتعبة، وكأنه طالع من ركام العصور الوسطى مبنىً ثقيل، صلدٌ، تحسُ بأنفاس التاريخ بخارا على زجاج نوافذه، وذكريات العابرين فيه تزين حوافيه وتحومُ في فراغ بهوه، كأنه مسكون بالآف الارواح التي تعقد الاعراس وحفلات السمر المتواصلة.

لكن قصر هشام! رغم هذا.. وذلك شبه مهجور وفارغ كمصران افعى، كقلعة دمرها جنود غزاة.

مع اول الضوء، وأول الفجر، حمّلنا حقائبنا بعربة نقل اقلتنا وانطلقت بنا الى غزة.

كانت الأرض تمتدُ بمدنها.. وقراها أمام عينيَّ اللتين غطاهما غشاء كثيف من الدمع ثقيل.. ثقيل. لم يكن الدمع ثقيلا الى هذا الحد في يوم من الأيام. وكانت العربة تنهب الأرض نهباً تبلع الشارع.. والمسافات ونحن نكمش اعصابنا بأيدينا جامدي الوجوه متجهمين، وعيوننا تحدق خارج النوافذ، وخارج المنعطفات، محاولة التقاط المشهد على آخره مشهد من حمى ووجع، مشهد هو مشهدنا المنهوب، أو المؤجل وقد تعلقت أحاسيسنا بحبال الاضطراب، سيطرت علينا غشاوة كأنها من عالم الضياع، فكنا تارة نلوم أنفسنا التي لا تحتمل اللوم! وتارة أخرى نبكي مصائرنا المنهوبة على عجل بأقدار رسمت لنا، على عجل، على نحو كهنوتي، وبأيدي عرافين! ما عرفوا يوما سخونة الدمع، أو أنين الوجع

عرافين بل ضمائر
مسكونين بإرث تحيينا
ونبات أشجارنا الطاعن في الثمر
مسكونين بظلنا الذي لا يمحي ابدا، او يذوب..

والمسافات تمتد أمام النظر الذي يلهث أكثر.. وراءها. وعيناي لا تستطيعان اللحاق بالمشهد الهارب من النوافذ. انه عمرنا الهارب من نوافذ الحياة.

كيف لي أن أتقمص المشهد
وأعيد الدماء اليه
الدماء التي تنبض بسحر أمي
وصفاء صوت أبي الذي تنفسته الوهاد

ومن أريحا غربا.. ثم غربا، دائما ينهبك الغرب، وانت على اتساع خطاك باحثاً عن ملاذك الأخير، تتخاصر والريح التي ليس لها مستقر ابدا. وبصعود شفاف تلم، خلاله، الأريج الطالع من رضوان الأرض، يمتد أمامك «الخان الأحمر» الذي تزنره «معاليه أدوميم» التي تجثم على صدر الارض خانقة اللهاث، فتحس بضيق في التنفس، وترفع يدك متحسساً رقبتك فقميصك المفتوح على صدرك للريح الغربية، فتبرد، تغلق عينيك عن النافذة، لتفتحها بعد لحظات او دقائق، على مدخل «عناتا» التي يتمدد نصفاها بين القدس والضفة الغربية. فحينما تغلق القدس مثلا يغلق معها نصف عناتا. وتتقطع اسباب وصاله مع نصفه الآخر!!! وتصعد بك العربة لتخترق مخيم «شعفاط» ذاك المزدحم بأطفال ذويك، وذوي ذويك كأنهم في انتظار الجنة.. ازدحام يشقُ رئة النهار ويقبض على انفاس النوم والعربة سائرة في صعودها تحت حرارة الشمس التشرينية، آه منك ايتها الشمس التشرينية. فتمر بأطراف القدس كأنك تطوفُ حول كعبة الروح، وقلبك ينبض بالسرعة القصوى رادماً ما انهار من فراغ بينك وبين الزمان ليوقظ غيبوبتك سائق «العربة» قائلا ان هذه بقايا قرية «دير ياسين» فيقشعر بدنك وتمد رأسك من نافذة العربة، فتراها.. بعض بيوت متناثرة تنم عن هوية الحياة، وبعض بقايا بيوت تصرُ على تشبثها في الحياة كأن بها أرواح اصحابها تدور.. تدور حتى الأبد.. وتدور «العربة» بعد صعود ثم تنزل شاخرة لترى بقايا «القسطل» بمعركتها.. وأسلحتها وأرواح أجساد محاربيها أكاد أعرفهم وألمس اطراف ثيابهم أسمع صراخ اوجاعهم في أجساد قابضة على بقايا كتل حديد العربات، وسيارات الجند المعطوبة.

ومن «دير اللطرون» غرباً... ثم غرباً باتجاه الجنوب، وعبر السهل الداخلي، كأنك تجتاز حديقة في أبهى حلة رسمها الخالق.

امتداد في امتداد يطويك! وتطويه.. يحضنك! وتحضنه كأنك عُراف المصير المسلوب، أو سراط ترجل الحكمة. وما أن تحسُ بحرارة الدفء حتى تدخل في «القسطينة» التي تلتوي على اضلاعك! على قلبك عند مشارفها فتشرق الشمس أكثر. كيف يمكن للشمس ان تشرق مساءً أكثر؟! وتدخل «المسمية» على عجل فينساب شريط من الذكريات لاصدقاء قلبك الحاني. كم سمعت بها، كانت حلما يرفرف فوق سواد الليل والدمع، وكم ضَمّنْتها وضمتها الأحاديث فرفع زميلك الخمسيني يده بارتجاف وحزن مشيراً الى مدرسته التي على يسار الشارع! فانهالت حقبة من شقاوة الطفولة والشباب أمام ناظريك.. كأنه يركض هنا... ويقف هناك.. الا أن عينيه ترقرقتا بدمع لامع ساخن كأنه طالع من مجمر التاريخ البعيد... القريب قبل اربعين عاماً.. وأكثر. أحسست بالدم ينتفض في عروق يده، وأصابعه، عاكساً لونه الارجواني على اضطراب انفاسه ووجنتيه اللتين صارعتا ليالي السهر الطويلة في سنين الغربة التي لا أقسى منها غربة «عوليس»... اذا عاد من سفر الى أهليه «عوليس» وكل منا له «بنلوب» ما زالت تحوك الثوب والدمع لم يغط ارض الهجرة بعد.

وبنلوب ما زالت تحوك الثوب في الليل وتكر ما حاكت ليلا، في النهار.

كليرة الذهب القديمة

* أحمد دحبور *

● مع كل مجموعة جديدة لمحمود درويش، يتساءل المراقبون عما سيقول بعد حين، كأنه – كما قالت العرب – أتى على الكلام كله، لكن خزين هذا النبع الجليلي لا ينبي يفور ويتجدد ويفاجيء. يواصل سيرة فيما يؤسس تقاليد يصلح كل منها وحده ليكون دليل عمل شعري كبير، لقد قال جان سكاسيل الشاعر التشيكي الذي يحب ميلان كونديرا ان يستشهد به: ان الشعراء لا يخترعون القصائد، فالقصيدة موجودة في مكان هناك، منذ زمن طويل جدا، ولا يفعل الشاعر شيئا سوى ان يكشف عنها.. والآن بقليل من المجاز والمجازفة يمكن ان نذهب الى ان سكاسيل هذا، انما كان يقصد اعجوبة شعرية من نوع محمود درويش، الذي يأتي كتابه الجديد «لماذا تركت الحصان وحيدا» مصداقا لما نذهب اليه، من حيث شعور القاريء بانه كتب هذا النص يوما، او كاد يكتبه، لولا ان مخيلة محمود درويش سبقته اليه.

اعترف بأنني، كلما حاورت جديد هذا الشاعر الاستثنائي، وجدتني ملزما بنشر عدد من الضوابط والكوابح حول مشاعري الشخصية، فضعفي تجاهه جهوري وناقع، لكن مفاجآته المتعددة تسعفني باستمرار، وتجعل من العاطفي موضوعيا، فلا فضل الا لشعر محمود درويش في الانفصاح عن تكريس محمود درويش في تاريخ ديوان العرب.

مع حمحمة الحصان المتروك وحيدا لكي يؤنس البيت، يشكل الشاعر ايقاعاته وفق نوستالجيا تعطي البطولة للمكان بامتياز، على أن أمكنة محمود دريش ليست اطلالا، حتى لو شغف بامريء القيس، وعقد معه خلافا غير لغوي، وحتى لو كانت اللحظة الفلسطينية الجليلية هي الدائرة الأم التي تتسع لدوائر الشاعر المتلاحقة، فالمكان هو اسطورة الشاعر الخاصة التي اخبر عنها نورثورب فراي في وقفته عند «النطاق الطبقي» الذي يشغل الشعراء الكبار، بحيث يصنعون من الاوتوبيوغرافيا (الترجمة الشخصية) ملحمة موازية للأساطير المتاحة، بل انهم يلتحمون بهذه الملاحم لتكون النتيجة تركيبا جديدا يعسر الفصل بين عناصره الثقافية والميدانية، هكذا يدلف محمود درويش الى الكتاب المقدس ليبتكر «نشيد أناشيده»، ويجدل بين القراءتين التوراتية والقرآنية ليوسف وربما لاسماعيل، يدخل على طروادة من الياذة هوميروس ويعيد اكتشاف مأساة هيلين، فيما تصدح المعابد: هللويا هللويا، ويرسف ابو فراس في أغلاله لتعلو صرخة برتولت بريخت في وجوه الطغاة، ويخطر الشاعر بين الفرس والتتار والروم ليسقط في حضن أمه التي كان اسمها عنات وأصبح حورية التي ترمي في القصيدة شالها، فيعبق الشعر برمية الجليل فيما يحاور الأبد المعانق للكون. بهذا يفيض الشاعر عن المكان، فهو هنا وهناك في لحظة واحدة، وهي ذي الطبيعة تكمل مسيرته وتذيع رؤياه:

هنا ولدت ولم أولد،
سيكمل ميلادي الحرون اذاً،
هذا القطار،
ويمشي حولي الشجر

ولسوف يستعيد الشاعر تنهيدة تميم بن مقبل «ما أطيب العيش لو ان الفتى حجر»، وقد استعادها مرارا في قصائد سابقة، لا انسحابا من الصحراء، والتماماً حول النفس، بل لاستيعاب مكنونات هذه الصحراء، وتصريفها كلاما عابرا للزمن، متجددا في ذاكرة تتشكل باستمرار:

لا أعرف الصحراء،
لكني نبتُ على جوانبها كلاما

ولهذا البائع المتعالي على رمل الصحراء، «مطر فوق سقف الجفاف»، لكنه «مطر جائع للشجر» «مطر جائع للحجر»، أليس هو الشاعر ذاته الذي كان، قبل زهاء ربع قرن، في كافتيريا سرحان يشرب القهوة ويتشكل قطرة عرق تبحث عن جبهة نزلتها؟ ان هذا الجوع، هذا البحث، هذه النوستالجيا، هي لحظة المغايرة التي تميز هذا الشاعر، فهو لا يحن الى ما كان، بل الى ما سيصنعه ويغيره بالذي وفي الذي كان، هكذا يكرز باسم المتنبي الذي لا يكف عن اعلان ولائه لروحه المتمردة، ولكن اذا قال المتنبي «على قدر أهل العزم تأتي العزائم»، فان شاعرنا يكسر الحكمة بحجر الشعر فيفتح طاقة في فضاء مخيلة القاريء: «على قدر خيلي تكون السماء»، وواضح ان خيله شاسعة الخطوات والا فمن اين هذا الاتساع الفذ للأزرق السرمدي الأبدي؟

على ان تضور الشاعر ونزقه ومغامراته ليست الا تأكيدا لقدرته على الامساك بخيوط الفوضى، حسب تعبير الطيب صالح، فمحمود درويش الفاتح صدره للمدى، لا يفرط بمفاتيحه السرية الصارمة، ونستطيع ان نلحظ هذا قبل قراءة «لماذا تركت الحصان وحيدا» ومن لحظة الاهداء، عندما ذكر صفة القربى التي تربطه بالراحلين قبل اسمائهم، اما امه التي اذا مات، لا قدر الله، يخجل من دمعها، فانها على قيد حياتها وحياته، ولهذا جعل اسمها سابقا لصفتها، فكان الاهداء على النحو الآتي:

«الى ذكرى الغائبين: جدي حسين، جدتي آمنة، وأبي: سليم، والى الحاضرة: حورية، أمي».

بهذه الاناقة التي تنجح في اتخاذ لبوس العضوية، يجعل الشاعر من مفردات حياته اليومية مدخلا الى مشروعه الشعري، وهو ما سيغريه بالوقوف العنيد على خط الهجوم المجيد لفصاحة تتأسس وتؤسس باستمرار لنشيد الحياة المتجدد، وهو ما يتطابق مع دورته العروضية عندما تسلك قصائده بحورا شعرية صافية، يتخللها السريع بتفعيلتيه «مستفعلن فاعلن» كما في قصيدة «كانتون في سورة الرحمن»، والبسيط بتفعيلاته الثلاث «مستفعلن، فاعلن، فعلن» كما في قصيدتيه «مر القطار» و«أيام الحب السبعة»، على ان خطورة ما يحدثه محمود درويش في الأوزان تتجاوز الاجتراء على البحور الصعبة الى لحظة توحيد الايقاع بالرؤيا، فلا تكون القصيدة على هذه الشاكلة، الا لأن مسارها يفضي الى أو ينبثق من هذا الايقاع، وهو ما يحقق لحظة الانسان اللاعب الذي بشر به ماركس.

بهذا يحق لمحمود درويش ان يزدهي باسمه الذي يرن «كليرة الذهب القديمة» كما جاء في قصيدته «البئر»، وكما يجيء في اقوال القراء والدارسين.